مراقبون

من زمن التوهج

اسماعيل الشيخلي

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2604) السنة العاشرة

الخميس (27) ايلول 2012

WWW. almadasupplements.com

8

إسماعيل الشيخلي..

الجمال ومضمون الفن

مفارقة اسماعيل الشيخلي:

تحرّيات في التأسيس

عبدالرحمن طهمازي

كان آخر معرض فكّر اسماعيل الشيخلي باقامته (شباط ٢٠٠٢ – قاعة حوار – بغداد) مناسبة له لفتح الوثائق، فقد وضع امام المشاهدين أعمالا تعود الى ما بين عامي ١٩٤٥ – ١٩٥٤، ووصفها في الكلمة المؤرخة يوم وفاته (٢٤ – ١ – ٢٠٠٢) بأنّها: "عبارة عن تطبيقات ودراسات وتجارب لمختلف المواضيع والمواد لها قيمتها التاريخية، اذ تعبّر عمّا كان يدور في الوسط الفني في بغداد في فترة الخمسينات في القرن الماضي ".وفي هذا التصريح يحدّد الرسّام – حقّا– صلاحيّة اعماله المعروضة لان تكون شيئا من انواع المراجع الوثائقية اكثر من كونها معروضات متحف. ولكن هل يكفي الاختزال (الذي لا شكّ في تواضعه !) ومفهوم "القيمة التاريخيّة" لتفسير الشيخوخة المبكّرة التي تعرّض لها عدد من رسّامي العراق الروّاد لاسباب تبدو اليوم مفهومة على نحو أفضل، مثل: النشاط الاجتماعي أو تغليب التعليم على الممارسة الحرّة أو تقلد بعض المناصب الرسمّية وحتى الاسهام في وضع قواعد المؤسسات النوعية للفن.. وهكذا؟. انّ هذا السؤال يحتاج الى نوع من المسايرة او السرد انطلاقا من اللوحات المعروضة وذكرياتها – والتي سبق أن عُرضت اكثر من مرة –، فهي مؤرّخة في عام تخرّجه من معهد الفنون الجميلة (في الدورة الاولى من قسم الرسم ١٩٤٥ الذي أسّسه استاذه وزميله في جماعة – الرواد – فائق حسن عام ١٩٣٩) ثمّ في الاعوام التي تلت تخرّجه من البوزار في فرنسا عام ١٩٥١، أي انها مرسومة بعد اكتساب التقنية أكاديميا، لكنها ظلت تعاني من سيطرة موضوعات الهواة ولقطاتهم للطبيعة كما هي، وللمظاهر المشتركة في الحياة الشعبية لمدينة عراقيّة في النصف الاول من القرن العشرين ولبعض مظاهر الفولكلور التي نجحت في جذب الاجانب لكنها لم تكن مغرية للشعب كي يتفرج على نفسه، أمّا التقنية فلم تكن إلا أمرا خاملا على السطح، اي انه لم يجد حاجة لتوظيف مكتسباته التعليمية أكثر من استجابته البطيئة لطبيعة متوقّعة ولحياة ذات ايقاع مقرّر في العادات اليوميّة للمجتمع آنذاك.ومن الممكن فهم رتابة الرسم العراقيّ في ضوء تطلعات الرساميين الضمْنيّة في ان يتّم الاعتراف بالرسم مثل بقيّة الفنون التي كانت معروفة في المستهلكات المنزلية، أما انْ يتكرّس الرسم لتحريك الذوق ودفع تخومه فقد بدأ على يد أفراد نادرين مثل: حافظ الدروبي ومحمود صبري وجواد سليم وآخرين، حيث سمحوا للتقنيّة ان تعرض اختلافها عن الموضوع على سطح واحد (ستكون لهذه البداية استئنافات وتجاوزات منذ ستينيات القرن الماضي ليس من السهل تعيينها تماما في هذه الملاحظات؛ سنذكر: شاكر آل سعيد، كاظم حيدر، جماعة المجددين، جماعة الرؤيا الجديدة.. لكن محمود صبري ظل مثالا بارزا على صيرورة واعية لدفع تخوم المواضيع نحو سطح تصويري تبعا للمشكلات الداخلية للوحة ومضمونها المفترض – اي غير القطعي ايدلوجيا –).

تأثر" اسماعيل الشيخلي " المولود عام ١٩٢٤ في بغداد، أول الامر بفائق حسن وخاصة فيما يتعلق بتوفير انطباع عن لوحة ذات مساحة كبيرة والوان متضادة، لكنه ظل يحاول انتاج لوحة موحدة، وبعبارة اخرى فقد اعتقد ان البناء هو اساس اللوحة، ولم تظهر قيم استقلال الشكل واضحة في بناء جميع العناصر، بلّ اكتفى بالعمل على جزء من السطح باعتباره منظورا فضائيا او خطيا لا سطحا تصويريا، أما الموضوعات – والتي كثيرا ما كانت شخصيات – فلم يمارس عليها تجربة تجعلها موضوعات غير مطروقة، وهذا ما لم تكن " المعيشة " في المدن العراقية تجيز غيره، لذلك كانت لوحاته من بين اللوحات المطروقة أيضا: ألوانا تبهجها الشمس، سحنات ترابية سمراء، ظلالا من الملابس.. وقد حاول طوال عقد كامل – ١٩٦٠ – ١٩٧١ التدخل في اعادة بناء مظاهر موضوعاته فأنشأ أشخاصا مترابطين ضائعي الملامح في محيط كلّ ما فيه –عدا الاشخاص – واضح تمام الوضوح، ثمّ انصرف عن هذه المحاولة نتيجة الطلب الرسميّ المتزايد على اعمال الفن وانغماسه في تلبية هذا الطلب والتخطيط له، وترك مبادرته تلك ناقصة ولم يطوّر كذلك محاولة قصيرة في التصميم قام بها في بداية الستينيات (ملصقات لفرقة المسرح الحديث عن مسرحيتي: أنا أمّك يا شاكر و اهلا بالحياة). فلم يكن استعداده لرسم تجريدي ميلا او قرارا اصليا (كان ذلك ايضا حال استاذه وزميله فائق حسن)، إلا أنّ الاصليّ هو ما استمرأه في اثناء تزويد الموسسّات والغرف الرسمية بلوحات غير بعيدة عن عقيدة جماعة "الرواد" في رسم المنظر الطبيعي بالاسلوب الحديث منذ المعرض الاول للجماعة في عام تاسيسها ١٩٥٠ الى المعرض الاخير (١٩٧٨) والمعرض الاستعادي (١٩٤٤).

انّ صورة اسماعيل الشيخليّ ستكون مقبولة ومفهومة لو حاولنا ربطها بالعلاقة بين الهواية والاحتراف، هذه العلاقة التي ظهرت في التشكيلة الاولى لجماعة "الرواد" ولم يرجح الاحتراف فيها، ممّا جعل "جواد سليم" – الذي كان يعاني من تردّد شديد الوقع بين الرسم والنحت –ينفصل عنها بعد المعرض الاوّل ويؤسّس "جماعة بغداد للفن الحديث " ١٩٥١. أمّا "محمود صبري " فكانت علاقته بنزعته التعبيريّة اقوى من تصنيف قائم على صفات الرساميين الاجتماعيّة والمهنيّة، ولم يسرف في تقدير وظيفة الجماعة الفنيّة المحلية والمكاسب الرمزية لها. أن نشوء الجماعات الفنية في العراق وانحلالها له طابع التاريخ الفنّي وعلاقاته العامة، واذا أردنا وصف قضيّة محورية كانت مدار نشاطات الجماعات الفنية التي زامنت في نشوئها بواكير اسماعيل الشيخلي (عدا جمعية أصدقاء الفن –١٩٤٠)– ونضيف الى "الرواد" و"جماعة بغداد للفن الحديث "جماعة الانطباعيين التي اسسها حافظ الدروبي في ١٩٥٤ – فانّ العلاقة بين الشكل والموضوع هي القضية المركزية المقترحة لذلك، وقد تجلت العلاقة على السطح التصويري بثلاثة انساق عامّة لها نماذجها في عدد من الرساميين: –النادي الاولمبي– قاعة اصدقاء الشرق الاوسط –قاعة اورزدي باك –١٩٦٥ –غاليري الواسطي –غاليري آيا) وكان من بين ذوي العلاقة بافراد المؤسسات النوعية كالتجار ومؤرخي الفن والنقاد وجامعي الاعمال، الذين صاروا رموزا ما على ثروة فنية، ووسطاء ومروجين لتنوير بصري والى حد ما تشكيلي. كلّ هذا حقق للرسام العراقي –في القليل –ان لا يقارن فنه بجهد عامل طلاء الجدران (وحدات السطح، وقت العمل، سعر المواد..) وانمّا يتم القياس بلغة فنية متخصصة ذات طابع دقيق لا تلتبس بلسان غيره ممّن يستعملون الموادّ الشبيهة، وكان هذا ايضا من مؤشرات الاستقلال الذاتي للرسامين في مجتمعات المدن العراقية.

ومن هنا يمكن اقتراح نقاط عديدة لبداية الرسم الحديث في العراق، لكن ما يميز هذا الفن هي محاولات استباق المستقبل، لذلك فهي محاولات بقيت جزئية، ترتبط ارتباطا وثيقا جدا بعدد متلازم من الاجواء الثقافية والسياسية.. واحيانا الاجتماعية النخبوية التي رافقت ظروف الحرب العالمية الثانية وجعلت من تلك المحاولات (حتى الستينيات التي لم تتخلص تماما من الطابع الاستباقي – الذي سمي طليعيا –) محاولات انطلاق سيكون البناء معها غير موثوق من تقدمه.

من اعمال الشيخلي الاخيرة في معرضه

اسماعيل الشيخلي بريشة الفنان ابراهيم العبدلي

اسماعيل الشيخلي..

من خانقين الى معهد البوزارت... رحلة للفن

× ولد في بغداد في عام ١٩٢٤

×درس الابتدائية في خانقين.

×اكمل دراسته الثانوية في عام ١٩٤٤..وفي نفس العام تخرج بدرجة امتياز من فرع الرسم، في معهد الفنون الجميلة ببغداد.

×عين مدرسا للرسم في الاعدادية المركزية.

×انتقل بعدها مدرسا للرسم في معهد الفنون الجميلة ببغداد خلال الفترة الواقعة ما بين اعوام ١٩٤٥ –١٩٤٨.

×سافر الى فرنسا على نفقة وزارة المعارف في عام ١٩٤٨ لدراسة الرسم في (البوزارت).

×عاد من فرنسا في عام ١٩٥٢ فعين مدرسا للرسم في معهد الفنون الجميلة.

×عين مديرا لمعهد الفنون التشكيلية ببغداد في عام ١٩٦٣.

×عين في عام ١٩٦٤ رئسا لقسم الفنون التشكيلية في معهد الفنون الجميلة (اعداد المعلمين).

×يعمل ..بالاضافة الى ذلك مشرفا على النشاط الفني في (كلية الاقتصاد) وذلك منذ عام ١٩٥٣.

×اسهم واشترك في جميع الفعاليات والمعارض الفنية التي اقيمت في العراق وخارجه.

×يشغل الان، ايضا عضوية الهيئة الادارية لجمعية الفنانين العراقيين.

×كل الصفات التي يمكن لها ان تمثل لنا الفنان الاصيل.ز اجتمعت في الفنان اسماعيل الشيخلي، رئيس قسم الفون التشكيلية في معهد الفنون الجميلة/ اعداد المعلمين.

طرحت عليه بضعة اسئلة.. فأجاب عليها بكل رحابة صدر.

×متى وكيف واين بدأت عندك هواية الرسم؟

–بدأت هذه الهواية منذ ان كنت طفلا في السابعة من عمري.. وكنت اعيش مع والدي في منطقة جبلية تقع على الحدود العراقية –الايرانية.. وتسمى هذه المنطقة بـ (النفط خانة) ..قرب مدينة خانقين ..وكان والدي يعمل (نجارا) في شركة نفط خانقين.. وكنت اقضي وقتي وحيدا مقلدا والدي في صناعة اعمال يدوية صغيرة من الخشب والطين والرسم. وعندما دخلت المدرسة الابتدائية في خانقين كنت بارزا بين التلاميذ في الرسم.. وقد شجعني جميع مدرسي الرسم الذين صادفتهم في جميع مراحل دراستي..

×هل كان لاحد فضل في توجيهك نحو هذا الفن؟

–نعم.. كان الفضل الكبير في ذلك يعود للمرحوم الاستاذ عبد الغني الجرجفجي الذي كان قد اختارني من بين جميع طلاب متوسطة الرصافة للتسجيل بمعهد الفنون الجميلة عند تأسيسه في عام ١٩٤٠. ومنذ ذلك التاريخ اصبح فن الرسم عملي المفضل في الحياة..

×هناك مدارس حديثة في فن الرسم.. فالى أي مدرسة تنتمي؟

–هناك مدارس عديدة في الرسم الحديث.. وقد انعكست اثار معظم هذه المدارس على الفن في العراق.. وانا واحد من الفنانين العراقيين المتأثرين في هذه المدارس وخاصة في الفترة التي اعقبت دراستي العالية في باريس.. اما اليوم، ومنذ سنين فقد اخذت اتحرر في اعمالي من التأثيرات الفنية الخارجية.. وخاصة فيما يتعلق بالاسلوب الغربي..وانني احاول، الان ان يكون عملي الفني محليا بأسلوبه ومضمونه.

×وهل توصلت الى غايتك هذه؟ والى أي مدى؟

–ارجو ان تسمح لي بأن اترك الجواب على سؤالك هذا للنقاد الفنيين.

×ما هو رايك في الحركة الفنية المعاصرة في العراق؟

–اني من مؤيدي هذه الحركة.. ومن الذين يعتقدون بأنها في العراق جيدة.. ومتطورة.. وتحمل بين طياتها كل عناصر النهوض والتقدم والاندفاع الواعي نحو فن افضل يمكنه ان يساير الفنون العالمية المعاصرة.

×هل هناك ما يعرقل هذه الحركة ويمنعها من النمو والازدهار؟

–الجواب على هذا السؤال يحتاج الى الكثير من الدراسة والتحليل..لانه متشعب وذو جوانب متعددة.. ومعالجته معقدة.. لكنني اوجز الموضوع واحصره في نقطتين.. اولهما تعود للفنان نفسه..لظروفه الخاصة.. والثانية تعود للدولة ومستلزماتها نحو الحركة الفنية ، فالفنان العراقي يعمل في ظروف صعبة ، ماديا ومعنويا، واكثر الفنانين تعوزهم المقومات الضرورية للعمل.. كالمراسم ..والموديلات والمواد الضرورية الاخرى.. والدولة عليها ان تهيأ الاجواء اللازمة لانعاش الحركة الفنية.. كالمتاحف وتشجيع المعارض على نطاق واسع.. محليا ودوليا..

لقد ان الاوان لان يخرج الفنان العراقي من عزلته الفنية المحلية الى المجالات الخارجية.. لأنني واثق بأنه عندنا من الفنانين والاعمال الفنية ما يجعل من السهولة اشراكهم في المعارض الدولية.ز ولايمكن ذلك الا بمساعدة (وزارة الثقافة والارشاد) بتهيئة كل ما يلزم لذلك.. والحركة الفنية عندنا تحتاج الى المزيد من الاعتناء بالتعاون مع الفنانين انفسهم.

×اذا كانت هناك مشكلة اجتماعية.. واردنا ان نعالجها بواسطة الرسم فاي الالوان يمكن ان تعالج هذه المشكلة اكثر من غيرها؟

–فن الرسم واسع ومتشعب سواء بمواضيعه التي يعالجها..أو بالاساليب التي يتبعها كل فنان في اخراج مواضيعه.. ولاتوجد الوان معينة لكل موضوع ولا يمكن تحديد ذلك.

اما الرسامون الذين يعالجون مواضيع ذات طابع اجتماعي .. فاعتقد ان كل موضوع خاص يحتاج الى الوان خاصة معينة لذلك الموضوع.. وبالطبع هذا يختلف باختلاف الفنان نفسه ايضا.. فعندما يختار الفنان موضوعا ما فأنه ، بلا شك ، سيختار الالوان التي تنسجم مع ذلك الموضوع ليحصل على نتيجة ناجحة.. فالشكل والمضمون يجب ان يكونا منسجمين في كل عمل فني ناجح.. وان تخلف احدهما عن الاخر فسيكون ذلك العمل فاشلا..

×أي الالوان احب اليك في الرسم، ولماذا؟

–لا توجد لدي الوان خاصة معينة افضلها على غيرها.. ولكن الواني التي استعملها هي جزأ لايتجزأ من مواضيعي التي اعالجها..وبما ان مواضيعي ، هي السنين الاخيرة اخذت تتحد وتتميز بمواضيع محلية عراقية.. فأنني اعتقد بأن الالوان اصبحت تقترب من الوان بيئتنا.. وعلى العموم هي الالوان القهوائية ..والترابية.

جريدة (كل شيء)
العدد (21) في 1964/10/26

عراقيون
من زمن التوهج

إسماعيل الشيخلي ومشاهدات تشكيلية من الذاكرة

صاحب أحمد

في معرض رواد الفن العراقي الذي أقيم على قاعة الأورفلي في عمان- الأردن- عام ٢٠٠١ و بإعتقادي كان المعرض الأخير لرواد الفن العراقي بعد رحيل الفنان الكبير إسماعيل الشيخلي.ضم المعرض أعمال سوزان الشيخلي التراثية الواقعية و هي أعمال تنقل صوراً للبيئة العراقية التي تتخذ من اشكالها موضوعات تتنقل عبر معالم الحاضر، اشكال الشناشيل.. البيوت و الأبنية التي زال و إندثر معظمها، معالم تذكّر بأشكال تراثية تنبض بالحياة.. منابع المياه، اسراب النخيل، حركة الناس، الأسواق و الأزقة، البيوت القديمة.. هي لوحات يكتنفها الطابع المكاني و الزماني في آن واحد. في لوحات الفنانة سوزان معالجة لجماليات المكان، معالجة تقترب من الحس الشعبي، وهي أعمال بعيدة عن النقل الحرفي، حين نرى مشهداً في لوحة من لوحاتها، ينقلنا ولا شك الى محلة الشواكة أو مدينة البصرة.. أعمال الفنانة سوزان نقل لروحية المكان و ليس للمكان نفسه بوصفه التقليدي.

في هذا المعرض النادر هناك ايضاً أعمال الفنان خالد القصاب التي يمكن وصفها بالغابة المتوهجة.. نخيل و أشجار.. مساحات لونية موزعة بمنظور أكاديمي مدروس بعناية عالية، هي الطبيعة التي تزهو بالحركة و الجمال. حقيقة، منذ حين و أنا أطالع أعمال الدكتور القصاب اثناء مشاهداتي لها في معرض، أو من خلال بعض المطبوعات.

و كان أول لقاء لي معه، و هو مع الفنان الشيخلي، في أحد المعارض المشتركة في بغداد، و كنت وقتها قد شاركت بعملين. قام الأستاذ الشيخلي بتعريفنا إلى بعضنا، و بمحبته المعهودة، لكن اللقاء كان سريعاً و لم تحن فرصة أخرى للقائه، منذ زمان و أنا أتابع مشاهدة أعمال القصاب، أردت الكتابة عنها لأكثر من مرة لكن مداخلات و إرباكات الحياة اليومية تفقدنا الكثير مما نحب تحقيقه.

في حديث مع الفنان إسماعيل الشيخلي و عند السيدة أنعام الأورفلي في قاعتها التي إعتادت إحتضان العديد من النشاطات الفنية و الثقافية على مدار السنة، راح يستذكر صفنا العتيد الصف الأول "أ" في أكاديمية فنون بغداد ٦٨-١٩٧٢. حينها كنا خمسة عشر تشكيلياً على التوالي. محمد عبد الرزاق الشيخلي الذي رحل مبكراً على أثر مرض ألم به جراء عمله في معمل لإنتاج الأصباغ. الدكتور محمد صادق رحيم الذي يقيم في موسكو، سناء التميمي المقيمة في باريس منذ ١٩٧٤، رياض الخياط في الدنمارك، نادية عرفات في تل أبيب، برويـن بابان في أربيل العراق، راجحة القدسي في عمان الأردن، عبد الرزاق ياسر و زوجته نضال الأغا في أربيل العراق، حكمت العزاوي و منتهى أحمد و أحمد يونس و بتول حاتم متي بولص و كاتب هذه السطور في العراق.

**مشادات مع فايق و الدروبي:

كان الأستاذ الشيخلي يثني على مجموعتنا بإعجاب، و كيف دخل في مشادات مع فايق حسن و حافظ الدروبي الذي شغل حينها منصب العميد في الأكاديمية، و صار مشرفاً على صفنا لأربعة سنوات الدراسة المقررة. و هكذا اقرّ و أسس نظام مبدأ الإشراف العام، و هو تقليد عالمي معروف خصوصاً عند دراسة الماجستير و الدكتوراه. إن ثقافة الشيخلي هي ثقافة خاصة تكونت من بيئته و ترحاله الـلا محدود، فضلاً عن مشاهداته و قراءاته التي كونت شخصيته الهادئة المنتظمة التي عكستها معظم أعماله. و أثناء الحديث، تذكّر الشيخلي كيف كانت علاقته مع استاذه أنديريه لوت خلال دراسته في معهد البوزار في باريس في نهاية الأربعينات من القرن الماضي، و كان يستذكر حديثه مع بيكاسو الذي إستغرب حين عرف أن هناك فناناً من بغداد يدرس الفن في البوزار، و يحتفظ الشيخلي بصورة له مع بيكاسو أثناء لقائه معه كان قد إلتقطها صديق له إسمه فتح الله لوقا. قلت للشيخلي: من كان معك من الرواد آنذاك؟ قال: عطا صبري و حافظ الدروبي و جواد سليم و كانوا قد سبقوني للذهاب للدراسة في إيطاليا، لكن وقوع الحرب العالمية الثانية أعاق إستمرارهم فعادوا الى بغداد و لم يكملوا دراستهم هناك. أما بالنسبة لي فقد ذهبت بعد الحرب الى باريس و أكملت دراستي في معهد البوزار، و كان هناك في تلك الفترة جميل حمودي و نزيهة سليم.

و في بدايات الفنان الشيخلي كان هناك شيء من التقارب مع فضاءات إدوارد بكنون، ربما كانت تطلعاته ايام دراسته الأولى في باريس قد جعلته يتنقل بين مؤثرات المدرسة الفرنسية. لكنه سرعان ما إنتقل لدراسة بيئته حيث راح يركّز على ملامح اشكاله ضمن فعل فني أوجد فيه خصوصيته، فعل أكد فيه وجود الإنسان ضمن الزمان و المكان حيث كانت مخيلته تشده. و منذ نشأته في بغداد و الحلم يشده الى الأشكال الأدمية، الى شخوص تقف في هيأة تحدي، شخوص صارمة متسائلة أحياناً، مشدوهة و شاردة في أحيان أخرى.. هي اشكال باسقة معبّرة عن إرادة ذات عمق روحي بعيد، هو خيال إسماعيل نفسه.

**تشظيات و كتل متناثرة:

في العام الماضي حيث أقيم معرض الرواد على نفس القاعة كان الشيخلي قد رسم لوحة بعيدة نوعاً ما عن مسار أعماله، كان تأثير الدمار الذي سببته الحرب على العراق ماثلاً في تلك اللوحة بقوة، و قال عنها الشيخلي (لا أعرف كيف نفذتها، لقد جاءت من دون شعورحتى لم أكن لأخطط لها مسبقاً). حقيقة، كنت ارى في تلك اللوحة تشظيات و كتلاً متناثرة فيها تداخلات و تباعدات و كأنها خرجت من اون حرب كونية.

في معرض هذا العام كانت هناك ايضاً لوحة مختلفة رسم فيها الفنان الشيخلي قطعاً نحتية و تخطيطاً بسيطاً بمثابة خلفية لهذه المنحوتات و كتب تحت التخطيط إسم جواد سليم. في أعمال الشيخلي حضور إنساني متفرد، هو صراع الإنسان مع البيئة، صراع السندباد مع المجهول، هو الفلسفة التي تلبس الحلاج. مرة حدثنا الأستاذ إسماعيل –كما كان يناديه فايق حسن– عن فكرة وجود موديل- المقصود بالموديل هو الموديل العاري يمكن لأي طالب أو طالبة القيام برسمه، بقيت هذه الحكاية تختمر في رؤوسنا.

و في أحد الأيام جاء محمد عبد الرزاق الشيخلي و قال: لماذا لا نأتي بموديل. هكذا إتفقنا على أن يكون يوم الجمعة موعد تنفيذ الفكرة حيث بناتنا في عطلة و شرطة الآداب في إجازة.. إتفقنا مع حارس الأكاديمية و كل شيء على ما يرام. واحد من صفنا تبنى عملية جلب واحدة "الموديل" الى الأستوديو الذي هو مشغلنا في الأكاديمية.. و كنا جميعاً على أهبة الإستعداد. و فور قدومها و جلوسها على الكرسي البسيط الذي كنا نستخدمه أكثر الأحيان للموديل، الموديل العادي طبعاً المدجج بالملابس وخصوصاً إذا كانت إمرأة.

ذلك اليوم رأى ذلك الكرسي مشهداً آخر، ولادة أخرى. و لكن و بعد حوالي نصف ساعة و نحن منهمكون برسم هيئة الفتاة و كان بعضنا قد أكمل تخطيطها تقريباً و منا من راح يرسم بألوان الزيت مباشرة.. و فجأة فتح باب الأستوديو و كان بعض ممن نعرفهم وقتها قد عتبوا علينا و زجروا المسكينة التي سارعت الى إرتداء سراويلها، وبادر محمد صادق بإعطائها ثلاثة دنانير، و ابعدناها عن ضرب متوقع و أخذها حكمت العزاوي بالتاكسي. و طمرت لوحاتنا التي لم تتم في مخزن لا يعرف الوصول إليه أداموس.

**الشيخلي في سطور:-

- تخرج من معهد الفنون الجميلة ببغداد – الدورة الأولى عام ١٩٤٥.
- حصل على دبلوم المدرسة العليا للفنون الجميلة –معهد البوزار- باريس ١٩٥٢.
- درس الرسم في معهد الفنون الجميلة و كان رئيساً لقسم الفنون التشكيلية فيها للأعوام ١٩٥٢-١٩٧٩.
- استاذ الرسم في أكاديمية الفنون الجميلة –جامعة بغداد- و رئيس قسم الفنون التشكيلية فيها للأعوام ١٩٧٩-١٩٨٧.
- رئيس اللجنة الوطنية للفنون التشكيلية منذ عام ١٩٩١ و نائب رئيس نقاد الفن.
- حاز على وسام الفارس في الفنون و الآداب من فرنسا عام ١٩٧٨.
- استاذ متمرس في كلية الفنون الجميلة حالياً وعضو هيئة رعاية العلوم و الآداب و الفنون في العراق.
- رئيس الرابطة الدوليةللفنون التشكيلية –اليونسكو- للأعوام ١٩٨٦-١٩٨٩.
- شارك في كافة معارض الرواد و المعارض التي اقامتها وزارة الثقافة و الإعلام و جمعية و نقابة الفنانين داخل و خارج العراق و إشترك في سبعة معارض للرواد في عمان بالأردن.

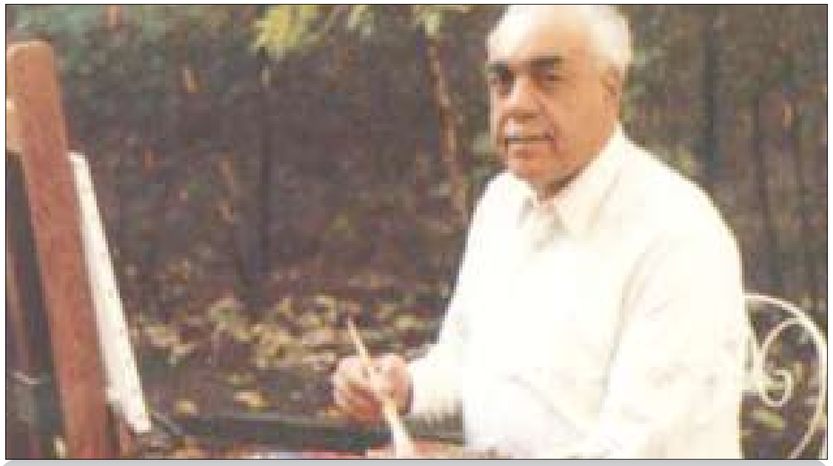

إسماعيل الشيخلي ....

لوحة تشكيلية في إيصال المفهوم الفكري

من خلال الدراسة الأكاديمية والبحث ، نجد أن البناء الشكلي للوحة دائما يعتمد على النظام العلائقي في إيصال مفهوم الفكرة في بنى العمل الفني ، ولهذا لابد من دراسة للقوانين والوظائف التي تحكم بناء هذا النظام ، وإعطاء دور مهم لتفعيل الأفكار المستقدمة الذي يتبع الرؤية الواعية والمنظمة في التحليل والتركيب لأنظمة العلاقات في النتاج الفني.

د. محمد العبيدي

والفنان اسماعيل الشيخلي يجدد قراءة الأفكار من لوحة إلى أخرى، ليس لغرض إيضاح المفاهيم المرتبطة وإنما يقوم بإفصاح الأفكار الاجتماعية التي تراود مخيلته ، وهذا يؤسس دائما لكشف الوسائل المهيمنة التي تتحكم بأسلوب متبع من قبل الفنان نفسه. رضخ الفنان إلى ضغوط البيئة ضمن انعكاسات فكرية اجتماعية ، ووقف دائما على حدود اللوحة ضمن سياق اللوحة وعناصرها وأسسها، وأنظمة العلاقة التي تحيل الخطاب الى افكار جديدة جعلت من أفكار لوحته مركزا للفهم والإدراك لاسيما عند استقراء العمل الفني في لوحات الفنان الشيخلي.

وبغية إعطاء الموضوع أهمية نأخذ بعض اللوحات عينة تحليلية ، نحاول من خلال هذه اللوحة (اعلاه) أن نكشف الأفكار المستقدمة في اللوحة ((الأمومة والطفولة)) رسالة فيها الكثير من الرموز و الشفرات التي تنغلق وتنفتح من خلال أفكار الفنان نفسه وليس من خلال السياق الذي يحكم تلك الرسائل ، وهذا يكشف النظام الترابطي في وحدات جسد المرأة المتشابه المستند إلى التركيب اللوني والتوزيع في وحدات العمل ذات المستوى المتناسب من عناصر مؤلفة للشكل ، هذا الفعل التواصلي يقدم أفكاراً جديدة للحياة الاجتماعية و البيئة البغدادية التي فصح عنها الفنان من خلال لوحته إلى الفعل التواصلي الذي يقدم من خلال ((الأمومة)) قدرة المتلقي على استقبال الأفكار بكل انسيابية حتى وإن كانت هناك شفرات مغلقة تحكمت في إنتاج رسالة العمل الفني ، ولكن الفنان بارع في تصوير التعبيرات و الرموز التي تتوجه إلى الإدراك العقلي بشكل مستريح.

ومن هذا العمل نضع لوحاته ذات الأفكار التواصلية بمثابة أداة للتواصل ولا تشعر أن هناك نوعاً من القطع ، لإن وظائف الإبلاغ تتخذ من المفردات مكاناً لفرز التحول و التطور مع الحفاظ على شكلية النتاج بالرغم من أنها مثقلة بمفاهيم جديدة ربما خيم عليها الحزن و الألم من حالة عنوان التمثيل ذي الوظيفة الأخلاقية المقترب من جماليتها ، إنها في كل الأحوال تحمل مضامين فكرية وهذه المضامين أخذت هي الأخرى تلعب في بنية الفكر الاجتماعي للبيئة العراقية المتفردة في إنتاج عوامل الفكر ، المسحوبة من فكر ضاغط زائد هيمنة على الفكر نفسه.

الشيخلي يحتاج في بعض الأحيان إلى تحرير لتهيئة الخطابات وبالرغم من أن تلك الخطابات ترغب في أن تنال من أرضية اللوحة نفسها وتعمل في فضاء تتقو لب وتصاغ فيها الأفكار بكل حرية، ولايسمح به الفنان لتلك الأفكار أن تلعب بمفردها إلا إذا كانت هناك وسائط مادية وخامات متنوعة وإتباع شتى التقنيات ليظهر تلك الأفكار المجسدة بهيئة النساء والأطفال ومعبرة بمفاهيم فكرية ناضجة ، ومن لوحاته التي تأخذ اتجاهاً آخر أو قراءة تبحث عن المهيمن الفكري عنده وأسلوب الإحالة المتقن الذي احترف فيه ، إنها الدلالات الشكلية التي تتطلب منه دائما قراءتها ضمن منظور علمي أكاديمي وهذا المتحقق الفعلي الوحيد والمتحرك في وسيط أكاديمي أسسَ مرجعاً لطلبته حينما حوّلَ الأنساق الشكلية إلى عوالم المنظور ليعلن في الوقت نفسه المدلول الرمزي في بنية الشكل نفسه ويترك فضاء النتاج يسبح بموجب السياقات المتحكمة ضمن منظور علمي يضيف له جمالية النتاج حينما يقرأ لوحته من الداخل إلى الخارج، وهذا التحليل انسجم مع بنية المنظور نفسه ، إنها ليست سابقة في كشف مهيمن اللوحة، وإنما اتبع وسيلتين في آن واحد ليعرف الوظيفة الفكرية أولاً وبعدها عملية إبلاغ المتلقي بما يجري داخل النتاج التشكيلي.

الشيخلي يعتمد في نتاجاته التشكيلية، على عملية تواصلية متفرد بها كونها تتفاعل فيها عوامل عدة ، شكلت بالأساس هيئة لوحدها داخل سياق اللوحة ، ليعلن أن التجربة التشكيلية هي تجربة تبدأ بالفكرة ثم مراحل انجاز العمل، لينتهي بالمتلقي الذي يكشف عن مستواه من خلال قراءة نتاجه وبذلك جعلنا نحول كل اللامرئيات من أفكاره وانفعالاته في مخيلتنا الى نسيج من العلاقات الاتصالية المنتظمة داخل لوحته الفنية التشكيلية.

اسماعيل الشيخلي في سطور

- ولد في بغداد عام ١٩٢٤
- درس الإبتدائية في خانقين
- اكمل الثانوية سنة ١٩٤٤ ودخل معهد الفنون الجميلة
- أكمل دراسته في معهد الفنون الجميلة .بغداد ١٩٤٥.
- تخرج في معهد الفنون الجميلة العليا (البوزار) td باريس/ ١٩٥١.
- احد المؤسسين لجمعية الفنانين العراقيين/ ١٩٥٦.
- الزميل الأول لجماعة الرواد ١٩٤٥..
- اشترك بمعرض جمعية أصدقاء الفن/ ١٩٤٦.
- اشترك بأغلب المعارض الوطنية داخل العراق وخارجه /١٩٧٨-١٩٨٧.
- عمل مديرا عاما لدائرة الفنون التشكيلية في وزارة الثقافة والأعلام/ ١٩٨٦.
- رئيس اللجنة الوطنية للفنون التشكيلية في العراق .
- عضو جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين/ ٢ .

الفن.. والحياة العربية في رؤية اسماعيل الشيخلي

عرضت مجلة ((الآدب)) السؤال التالي ، على جماعة من المشتغلين بالفن في مختلف البلدان العربية ، وقد أجاب أربعة فنانين عراقيين الإجابات التالية:

جواب الأستاذ إسماعيل الشيخلي.

لقد ظل العالم العربي متخلف ، ولمدة طويلة عن بقية الأمم في مضمار التقدم العلمي وفي الميدان الإجتماعي والسياسي، ونتيجة حتمية لذلك أنعكس هذا التأخر على الواقع الاجتماعي فأدى إلى تأخر في الفكر والأدب والفن . كان العالم العربي أشبه بالبقعة المنعزلة عن بقية العالم وكان قليلٍ ما يتأثر بالتيارات الفكرية التي تضطرب في عصرنا، على أن هناك ما يستحق أن نشير إليه وهو مدرسة بغداد للرسم في عهد الحكم العباسي والتي انتهت بانتهائه.

وقد كان الواسطي من أبرز للرسامين في تلك الحقبة. على أن التجربة التي عاناها العراق وبقية الأقطار العربية خلال الخمسين سنة المنصرمة من حيث اتصاله بالعالم المتحضر وتأثره بما يبدع هذا العالم في ميادين العلم والصناعة والفكر قد أدت إلى لون من (الأخذ) وأشك أن يكون تمثلنا لمختلف التيارات الفكرية والفنية التي اقتبسناها من الغرب عميقاً وصادقاً وذلك لاختلاف واقعنا المتخلف عن واقع الغرب الطبيعي، فلنأخذ المدرسة التكعيبية مثلاً : أن ظهور هذه المدرسة في العالم الغربي له ما يبرره لأنها كانت ثورة على الإنتاج الفني وعلى ذوق الجمهور معاً فيؤثر أحدهما على الآخر حتى يأخذ الفن شكلاً أو أشكالاً أصلية معبرة عن حاجات ذلك الجمهور ومدركة من قبله في الوقت نفسه.

دجلة وبغداد ثم البعوث الفنية ترسل إلى أوربا من قبل وزارة المعارف العراقية ومنذ سنة ١٩٣٠ وبعد دراسة طويلة رجعت إلى الوطن بصيغة جديدة وبطابع أوربي وأخذ هؤلاء الفنانون العراقيون الجدد والمتعاقبون من طلابهم ينظرون إلى أوربا كمصدر للوحي والإلهام في تكوين لوحاتهم الفنية وحتى في مواضيعهم فكانت (ليدا والوزة) و (أزهار) و(منظر طبيعي) الخ.. ناسين محيطهم والبيئة التي يعيشون فيها ألا النزر القليل.

ثم ظهر آخرون يعملون التجارب الفنية على غرار الفنانين الأوربيين الذين ظهروا فيها بين الحربين مع فارق الظروف والأسباب، فأخذوا في رسم لوحاتهم وصورهم على غرار المدارس والطرق التكعيبية والسريالية أو التجريدية بصرف النظر عن الأسباب التي دعت الفنانين الأوربيين للتعبير عن تلك اللوحات ، وكان شأنهم في ذلك تقليد (بيكاسو) وغيره لكي يكونوا رسامين محدثين. والحق أننا نمر اليوم بمشاكل وأوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية وبتطورات جديدة تختلف كل الاختلاف عن الفنانين الأوربيين.

وقد لاحظنا أن المعرض الفني الهندي الذي أقيم في بغداد منذ ثلاث سنوات كان يحمل طابعاً هندياً ويتجه إلى تكوين مدرسة هندية حديثة ولا شك أن ذلك قد ترك أثراً بالغاً في نفوس الفنانين العراقيين وعند أكثرية الزوار للمعرض عمرانية شاملة وصناعية ولذا وجب على المهندسين المعماريين عندنا أن يفتحوا المجال للرسامين والنحاتين لكي يرسموا صوراً جدارية ومنحوتات نصف مجسمة (البارليف) على سطوح جدران هذه الأبنية وخاصة الحكومية منها لكي تكون على وجه أكمل، ومن الناحية الأخرى يجب الاهتمام بالفن التجاري لكي يسد حاجة الإنتاج الصناعي في البلد من صور وإعلانات وغيرها، واستخدام الفن في الأغراض الاجتماعية كالخدمات الاجتماعية وغيرها. وأن الساحات والميادين الكبيرة والجديدة التي سوف تحدث عند الانتهاء من تنظيم مدينة بغداد ستكون من أفضل المجالات للنحاتين عندنا لنصب التماثيل التي تصبح كعبة للزوار ومتنزهاً للترفيه عن الشعب وسد أوقات فراغه كما في ميادين روما وباريس ولندن .

أن إنتاجنا الفني يجب أن يكون المعبر الحقيقي عن واقعنا الراهن فينبغي أن يعكس آلام الشعب وأفراحه بمواضيع اجتماعية وشعبية، والمجال مفتوح أمام الفنان وهذه المواضيع لم تطرق حتى الآن في السابق. أن الفن يتجه اليوم إلى نوع من الواقعية الجديدة، يمكن فيها تسجيل الحياة اليومية عندنا بلوحات معبرة رائعة .

وسيكتب الأستاذ إسماعيل الشيخلي، بعد أربعين سنة .. الإشارة التالية .. التي حملت عنوان ((الفنانون الرواد)):-

كان هدف معظم الفنانين التشكيليين العراقيين العائدين من الدراسة إلى الوطن، بعد الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية هو التأكد على الهوية المحلية للفن العراقي، من خلال تحقيق سمات وخواص ورموز وطنية وقومية دون الابتعاد عن الأفكار التي كانت سائدة في العالم أو في أوربا في تلك الفترة أي ما يسمى بـ (الفن المعاصر).

وكان موقف الفنان التشكيلي يتطابق تماماً وينسجم مع الموقف الفكري والاجتماعي والسياسي للشعب العربي والعراقي بصورة خاصة حيث بدأت بوادر التأكيد على الهوية الوطنية والقومية على المستوى الفكري والثقافي العام. كالشعر والأدب والقصة ... وغيرها .

وقد تعددت وتنوعت الطروحات لدى التشكيليين لتحقيق هذه الأهداف، فمنهم من أستلهم التاريخ المتمثل بالفن العراقي القديم كالفن السومري أو الآشوري والبابلي، أو الفن الإسلامي .. مثل الفنان (جواد سليم) وجماعته – بغداد للفن الحديث – ومنهم من أتجه مباشرة إلى الحياة العامة للشعب العراقي يستلهم أيضاً من تراثه الشعبي ورموزه الفولكلورية، نمط الحياة في المدينة والريف، العناصر الأساسية للفن في أطار من الحداثة والتجديد من حيث الشكل مع الدراسة الجادة للفكر السائد في حينه ((كجماعة الرواد)).

ولم أكن بعيداً عن هذا التيار باعتباري قد عدت توا من فرنسا عام (١٩٥٢) وكذلك باعتباري أحد مؤسسي جماعة الرواد. كان هاجسي الحقيقي ذاتي أولاً والتأكيد على خصوصيتي في الفن، وذلك باختيار مواضيعي ومضامينها ومعالجتها ((شكلا)) وفق ما أطلعت عليه من الحركة الفنية في العالم وفي أوربا على وجه الخصوص.

شاهدت كما شاهد معظم الفنانين الشباب من العالم وعلى الأخص فناني العالم الثالث معرضين مهمين كان لهما التأثير العظيم من الناحية الفكرية والسياسية هما معرض ((عموم الهند)) وكانت قد استقلت حديثاً عام ١٩٤٨ والمعرض الثاني هو معرض (الفن المكسيكي) عام ١٩٥٠ فكانت حصيلة هذين المعرضين هو التأثير المباشر على الفنانين وظهور الأفكار ذات الطابع الوطني والقومي .. لوجود الإمكانات الهائلة لدى تلك الشعوب لتحقيق فنون وطنية أصلية دون التأثير بالتقاليد والطروحات الأوربية المباشرة وعلى الأخص تلك التي حدثت قبيل الحرب العالمية الأولى، وما ظهر بعدها من أساليب وقيم فنية جديدة تنسجم مع ما حدث من ثورة فكرية عميقة في أوربا نتيجة للثورة الصناعية الهائلة والتي غيرت معالم الحياة بصورة جذرية كما تغيرت العلاقات بين شعوب العالم الثالث جراء الهيمنة السياسية والثقافية.

لقد تبنى الفنانين الشباب العائدين هدف تحقيق فن عراقي ينسجم مع واقعه الجغرافي والبيئي وتأريخه الثقافي وفلسفته الخاصة في الحياة في أطار من الحداثة من حيث الشكل دون المساس بالأهداف الحقيقية النبيلة للفن وهو تأكيد أعلى مراتب الجمال والسمو بالإنسان وإنسانيته.

مجلة ((الآداب)) السنة الرابعة 1956 العدد الأول. دار العلم للملايين – بيروت. الواسطي: نشرة متخصصة تعنى بالفن التشكيلي ، دائرة الفنون بوزارة الثقافة والإعلام ، العدد الأول.. السنة الرابعة 1996 ص3.

إسماعيل الشيخلي.. عاشق القرويات

*كاظم السيد علي

إن الحرب العالمية الثانية .. أيقظت الوعي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لدى الإنسان العراقي في تلك الحقبة ، وأصبح للفنان التشكيلي ، الحرية الداخلية فلابد أن يخلق ويولد شيء من ذلك الوعي في مضماره ، وكانت انتفاضة ١٩٤٨ بعد تلك الحرب متنفسا له فتحول الفنان شيئا فشيئا للتعبير عن واقعه الذي يعيشه من الجانب الاجتماعي والإنساني من خلال ممارسة فن إبداعي وثقافي خلاق ، ضمن التوجه الجديد هما التيار الواقعي الاجتماعي من جهة ، والتيار الثقافي والحضاري من جهة أخرى ، واليوم نسلط الضوء على واحد من فناني التيار الأول " الواقعية التعبيرية " إلا وهو الفنان الكبير إسماعيل الشيخلي ، الذي شق طريقه مع نخبة طيبة من الفنانين كل من فائق حسن ومحمود صبري وجواد سليم وغيرهم من الفنانين في تلك الحقبة ، والذين حققوا تحولا في التعبير ونقل الواقع الاجتماعي والإنساني وتجسيد الحياة الشعبية العراقية والعزوف عن المنظر الطبيعي والأشياء الجامدة ، والابتعاد عن رسم " البورتريت " أي رسم وجوه الأشخاص ، مما اتخذ الشيخلي إسماعيل البيئة العراقية موضوعا لإعماله الفنية ونتيجة للوعي ولثورة تموز عام ١٩٥٨ الذي مهدت للفنان حريته الإنسانية ، اخذ الشيخلي يبحث في فنه بتقنية جديدة مهدته إلى خلق أسلوبا جديدا وكان هذا تحولا في تجربته نظرا للتبلوره الواقعي ، بعيدا عن الملامح الطبيعية لاستخدامه الألوان والكتل والمساحات " التشبيهية " بعيدا عن المألوف وألوانه الحارة المعروفة وخاصة في تصويره لواقع الريف العراقي .. النخيل .. المياه .. القرية .. الهور .. الخ ، ولشخوصه التجريدية بشفافيتها وهدوؤها ، التي تعمل على خدمة الموضوع المعبر في اللوحة ، فيقوم كذلك برسم الوجوه والحركات بأكثر حرية وخاصة في نسجه للون رغم انه قليل في لوحته يقول عنه الناقد جبرا إبراهيم جبرا بهذا الخصوص : " ليس في رسوم إسماعيل الشيخلي شيء من التصوير الشخصي ، فهو يقولب الوجوه والأجسام بحرية أكثر مما قد تتجه النظرة السيكو لوجية ، نساؤه عراقيات بلفتاتهن وعطفهن تهن وجلساتهن ووقفاتهن ، ويكاد المشاهد يرى تغزل الرسام بكل ذلك ، محافظا في الوقت نفسه على سيطرة الشكل ونسج اللون والنسج مهم في ألوانه القليلة التي يضعها أحيانا في تقابل جريء ، ويستخرج منها شفافية رقراقة ، لاسيما في عدد من صورة التي يدور موضوعها حول الأم وطفلها فإسماعيل ، في تعلقه بقيمة اللون ، قريب من فائق حسن ، الذي كان أستاذا له قبل أن يكمل إسماعيل دروسه في باريس ، وقد مرت رسومه في مراحل متباينة أخرى ، في كل منها تجارب على موضوع متقارب بلغت به هذه المحولات الغنائية ، ولوحاته الأخيرة تمتاز بمساحاتها اللونية التي يوزع ضمنها مجموعات ، معظمها نسائي ، في تكوين مترع بالفرح " . لقد ابتعد إسماعيل عن الأسلوب الذي كان معروفا به بالواقعية التعبيرية الشعبية في الخمسينات ، فقد ظهر بأسلوب جديد في الساحة الفنية بين زملائه أنذاك وعرف به هو " الأسلوب الهندسي " يقول عنه الفنان ماهود احمد : " ظهرت أعمال إسماعيل الشيخلي باتجاه هندسي فيه تبسيط للمساحات ، وبقع لونية شفافة غالبا وقوية أحيانا تتدخل ضمن تلك المساحات الهندسية ، الوجوه ، دوائر العيون نقاط ، والأجساد والملابس مجموعة من المستطيلات والمثلثات والمربعات تتمازج بعلامة تركيبية منتظمة وقد ظهر هذا الاتجاه الفني تحت اسم (التجريدية الهندسية) بعد الحرب العالمية الثانية ، لكن المضمون التعبيري في أعماله ، لم يبتعد عن الروحية الشعبية التي كانت متشعبة في نفسية إسماعيل الفنان الممتدة عميقا في حياتنا الاجتماعية في الريف والهور ، والنخيل ، والفضاء الجميل ، والقرية ، والفلاحين والقرويات ، وهي " تميز عراقيته " بوجه خاص ، وكذلك في " أشكال ووضعيات النساء ، وكذلك الاسترخاء ألسكوني المملتىء ببراءة العشق والحياة ولهذا فليس غريبا أن أطلق عليه اسم (عاشق القرويات) هكذا كتب عنه زميله ماهود احمد في كتابه الموسوم " إسماعيل الشيخلي " واخيرا لابد أن اذكر ، كان الشيخلي ١٩٢٤ من أوائل الذين اختارتهم متوسطة الرصافة للدخول إلى معهد الفنون الجميلة بين عام ١٩٣٩ – ١٩٤٠ ، وبعد أن تخرج في أول دورة للمعهد فرع الرسم ١٩٤٥ مارس تدريس لفن في الإعدادية المركزية ، ثم عين مساعدا لأستاذه فائق حسن بمعهد الفنون الجميلة ١٩٤٧ . بعدها حصل على عضوية البعثة العلمية سافر إلى باريس عام ١٩٤٨ درس الرسم في المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة (البوزارت ١٩٤٨ -١٩٥٢ على يد الفنان " جون دوبا " ودرس بصورة حرة في أكاديمية جوليان مع الفنان " اندريه لوت " بعد تخرجه وعودته إلى العاصمة بغداد عام ١٩٥٢ واصل تدريسه للرسم في معهد الفنون الجميلة بعدها انتقل إلى أكاديمية الفنون الجميلة ومنح لقب أستاذ فن ، ويذكر إن الشيخلي هو احد مؤسسي جمعية التشكيليين العراقيين عام ١٩٥٦ والزميل الأول لجماعة الرواد ، ساهم حلال تجربته هذه في جميع المعارض التي أقيمت داخل البلاد وخارجه الجماعية ، ولا يقدم لوحاته بمعارض شخصية " ومع انه ينتج قرابة العشرين لوحة في السن.

عادل كامل يحاور اسماعيل الشيخلي

إسماعيل الشيخلي.. الجمال ومضمون الفن

حوار: عادل كامل

تزخر قوى الفنان إسماعيل الشيخلي، على العكس من قوى نوري الراوي، باحتفالية خاصة ثمة بشر يتجمهرون ضمن احتفال متعدد الأبعاد يكاد يكون إيذانا بميلاد أمر مجهول.

ألا أن تلك التجمعات البشرية تنقلنا إلى صميم القرية العراقية التي يسترجعها الفنان عبر ذاكرة متوقدة وبانورامية بما كان للماضي أو للحاضر المستعاد أثر فيه ألا أن فنه برمته يطمح إلى تأسيس عالم جمالي مشحون بالغنائية والحزن الخفي أنه واحد من الفنانين العراقيين الذين تبلورت رؤيتهم الخلاقة عبر كفاح طويل من الزمن أخلاصاً لمفهوم الفن وعلاقته بالناس. وقد تكون أعماله الأولى مجهولة الآن، أي تلك التي صورت الفقر والبؤس. ألا أن تأملاً عميقاً لأعماله الاحتفالية لابد أن يفضي بنا إلى اكتشاف خفايا المسرة المعلنة. وربما هنا تكمن قيمة فنه، أنه واحد من الرواد المؤسسين، وأستاذ عدة أجيال في الوقت نفسه.

سألته :

هل أنت فنان واقعي. ؟

–هذا السؤال غريب. الناقد هو الذي يحدد ذلك...! وبعد صمت وجيز تابع قائلاً:

–طبعاً أنا فنان واقعي. لكن المفهوم نسبي. ما الواقعي وغير الواقعي ؟ منذ أعمال.

–الفنان البدائي مروراً بعصر النهضة حتى الآن يقول لك كل فنان، بأنه كان واقعياً، وأنه ينظر إلى الواقع من زاويته الخاصة.

ويصمت قليلاً أيضاً ليضيف:

–وحتى الفنان السوريالي عندما تسأله يقول لك بأنه فنان واقعي. وأعتقد بأنني فنان واقعي.

في فترة الخمسينات، تميزت أعمالك بصلة عميقة بالواقع: هل كان ذلك بسبب تأثيرات فنية محددة؟

–فعلاً، في الخمسينات، أو بالأحرى في الأربعينات، أبان الحرب العالمية الثانية، حدث وهي عند شعوب العالم الثالث التي بدأت تستقل حديثاً، سياسياً وثقافياً واجتماعياً، فكان لدى جيلنا ذلك التحدي ضد الهيمنة الأجنبية بكل أنواعها، وصار لدينا وعي وطني وقومي. في تلك الفترة بذل الفنان جهداً كبيراً للتعبير عن هويته الوطنية والقومية. لذلك أتسمت الحركة التشكيلية في الخمسينات بنوع من الأصالة الفنية واتخذت خطاً واضحاً نحو الأصالة. ولذلك اتجهنا نحو الموضوعات العراقية لأننا كنا لا نريد أن نقلد الفنان الغربي ..

بهذا المعنى اخترت موضوعات الفيضان والبؤس الاجتماعي ؟

–أنا وزيد صالح وفائق حسن وجواد سليم ومحمود صبري عبرنا عن موضوعات اجتماعية وسياسية. لم تكن اللوحة جميلة فقط. وإنما جميلة بمضمونها. وهذا تحد المسلطة آنذاك. هل هناك تأثيرات لمدارس فنية محددة؟

–ربما نبهتنا المدرسة المكسيكية لموضوعات سياسية وحتى أعمال بيكاسو كان لها تأثير. بيد أنني لا أعتبر أعمالي مباشرة أو سياسية. أنها ذات طابع اجتماعي.

ماذا تقصد بالطابع الاجتماعي ؟

–عندما ينظر الفنان إلى اللوحة، بتجريد تام فأنها تغدو لوحة جمالية مجردة، ولكنه عندما يتخذ الحياة موضوعاً له فأنه يكون فناناً اجتماعياً. الجمال هو المضمون. والمضمون وحده لا يكفي، بل يسقط. الفن منذ البدء وحتى الآن. يرتبط بالعلاقة الجدلية بين الشكل المتقدم والمضمون.

وقال بهدوء:

–أرسم المسيح، العذراء، أو أي شيء آخر ... ولكن دون هذا الترابط تسقط اللوحة، اللوحة الناجحة هي التي تمتلك عناصرها. ومهما كانت الموضوعات. اللوحة لغة تخص كل تفاصيل اللوحة وعناصرها. والجمال هنا هو النظرة المتجلية للفنان.

الفنان يخلق أم يكتشف؟

–الكلمتان تعنيان شيئاً واحداً. في لحظة الخلق أو الاكتشاف تتحدد رؤية الفنان ببعد عميق لهاجسه الداخلي وثقافته الروحية. أو اللحظات الفريدة التي تعكس الماضي القديم عنده. أنه الخزين المجتمع عبر سنوات طويلة داخل مخيلته أو متحفه الشخصي، لنصف قرن أو أكثر .. وتفسير السؤال يخص الإبداع.

–والإيحاء ..

هل للاوعي دور خاص؟

–طبعاً.

قد يرتبط هذا اللاوعي بالتراث القديم؟

–نعم، بكل خلفياته .. منذ الطفولة مثلا..

أقصد – كما قال يونج – اللاوعي الجمعي ؟

–بالضبط .

هنا نتوقف إزاء الفنان : ما هي ؟

–توصلت، بعد هذا العمر، أن المسؤولية الفنية ترتبط بضمير الفنان وإخلاصه. كم يستطيع أن يقدم عملاً أصيلاً جيداً فأنه يكون قد جسد رسالته، لأنها تخص تأسيسات الجمال الحقيقي. العمل الجيد هو تراث ويدخل ضمن التراث. والعمل الفني يحمل مضمونه التاريخي بذاته، أما ما عدا ذلك فيزول! أن مهارة الفنان، وإزاء التاريخ اللاحق، يرتبط بوعيه إزاء رسالته الإنسانية الشاملة.

الفنان مرآة للمجتمع – كما قال جواد سليم – أم هو ضمير له؟

–ماذا تقصد بالمرآة، وماذا تقصد بالضمير؟

المرآة أنعكس للواقع. أما الضمير فهو بحث عن اللا مرئي في الواقع ذاته.

–لا أفهم هذا الشيء. الفنان جزء من هذا المجتمع الفنان ينبغي أن يبقى صادقاً .. ويكون تعبيره عميقاً. أنا جزء من هذا المجتمع وأحاول أن أعبر عن ذلك. عندما يرسم الفنان بإصالة يكون قد عبر المجتمع. وعندما يكون الفنان أصيلاً يكون ضميراً له، ومرآة له أيضاً.

حسناً .. من هم أساتذتك ؟

— بلا شك، أن أستاذي التقليدي هو فائق حسن. كما تعلمت من جواد سليم لأنه درسني.

نود أن تحدثنا عن بواكير السنوات الأولى لتجاربك الفنية؟

–دائماً أقول وأكرر: أعتقد، وهذا أكيد، أن طفولتي التي قضيتها مع والدي في ((نفط خانة)) كانت جميلة – ويعجبني أن أراها الآن – لأنها منطقة وعرة وفيها سلسلة من الجبال – تلك هي الطفولة – وما زلت أرى الألوان تتغير بسرعة: الأحمر، الأبيض، الأخضر ..

لماذا اخترت الرسم بالذات؟

–كان والدي يأتي بالأخشاب، والأقلام الملونة. فكنت أعمل بالخشب وألوانه. تلك هي جذوري الأولى بالرسم. بعدها كنت أحصل على درجة كاملة بالرسم:

–بعدها أرسله والده إلى بغداد، فدخل المدرسة الابتدائية ((العوينة)) عند بيت عمه ((كانت أزقة بغداد غامضة جداً)) وقد دخل الصف الثاني وكان عمره تسع سنوات بعدها أمضى سنواته في ((خانقين)) حتى الصف السادس الابتدائي. ويتابع الفنان.

–في السنوات القادمة، في الصف الأول والثاني المتوسط، كان أكرم شكري وسعاد سليم. ولم أكن أعرف الرسم. ولكن الحقيقة في عام (٣٩ – ٤٠) فتح فرع الرسم في معهد الفنون الجميلة، وكان هناك اختبار للطلبة الموهوبين. ذهبت إلى ((عبد الغني الجرجفجي)) وقدمت له لوحة منقولة عن فنان إنكليزي بألوان الباستيل، قال: هذا جيد. وأرسلنا إلى معهد الفنون الجميلة. كان حقي الشبلي بانتظاري – مع ١٢ طالباً آخر – كنا ننتظر، ولم يمر الأستاذ – لكنه كان قد مر من أمامنا ولم نعرفه – وكان هو الأستاذ فائق حسن. بعد الامتحان نجحت أنا وشخص آخر فقط ترك الرسم فيما بعد.

كيف كانت صلتك بجواد سليم؟

–بعد سنتين من دخولي للمعهد، تأسس فرع النحت، وتوثقت علاقتي بجواد سليم، ضمن تدريسه لمادة تاريخ الفن. وصرت صديقاً لجواد قبل فائق حسن.

ماذا تتذكر عن جواد سليم؟

–الذكريات كثيرة جداً؛ كنت أجلس بالقرب منه ساعات طويلة. كان ينحت في (مطبخ) معهد الفنون. وكنت أتأمله دائماً. قلت الذكريات لا تحصى ..

ماذا تعلمت من جواد ؟

–لم يعلمني شيئاً مباشراً، كما علمني فائق حسن. لكن تأثير جواد سليم كان عاماً: لأن أفكاره كانت تنتقل بين الفنانين الشباب. أنه علم الجميع أشياءً لا تحصى ..

حسناً .. وماذا علمك فائق حسن؟

–علمني الأصول الأكاديمية في الرسم بلا شك .. ويضيف بأن فائق حسن دخل المرسم ذات يوم (١٩٤٤) وشاهد لوحاتهم الأكاديمية. فقال صارخاً ((مزقوا أعمالكم)) مضيفاً أرسموا بحرية تامة يومها تفتحت لدى الشيخلي رؤية جديدة. قال فائق حسن لهم ((أنظروا الوحات)) ((رينوار)) و ((سيزا)) و ((كوجان)) و ((فان كوخ)) ويعترف إسماعيل الشيخلي: كان لفائق الفضل الأول طبعاً.

–أي مفهوم تقدمه لمغزى الجماعات الفنية آنذاك؟

أعتقد أن الأمر يرتبط بجانب اجتماعي أولاً. بعد جماعة أصدقاء الفن حدث الفراغ الفني حتى عام (١٩٥٠) بعد هذا التاريخ تشكلت جماعة الرواد بشكلها الفني. وخاصة في معرضها الأول.

ويتابع

في المعرض الثالث لجماعة الرواد، عندما كان جواد قد عاد من لندن، بدأت تتبلور لديه أفكار حول البحث عن التراث العراقي. فأسس جماعة بغداد للفن الحديث. هنا حدثت مفارقة: كانت جماعته تبحث حول التراث العراقي القديم والعربي والإسلامي. أما جماعة الرواد فاتجهت نحو الطبيعة والواقع الاجتماعي.

نتوقف لدى فنك بالذات، إلى، كما أعتقد، أن القرية هي محور معظم أعمالك.. لماذا؟

–لا أعرف أنا لا أرسم القرية وإنما أرسم كل ما أراه.

ألا ترى بأنك تبحث في فنك عن البراءة؟

أترك الجواب لك.

في فنك محاولة لاسترجاع الطفولة الأولى؟

–نعم. هذا صحيح. ولها جذورها. لأن الفضاء لدى هو الأساس. أنا أحب أن أرسم الأشياء في الخارج. لأنني أحب الفضاء في الطبيعة ..

اللوحة الفنية لديك كم تستغرق وقت إنجازها؟

يجوز ساعة أو سنة.

هل لديك تصميم ذهني لها؟

–التصميم الذهني ليس أنياً. أنه موجود وعندما أرسم يكون التصميم قد تبلور ذهنياً لكن اللوحة ولدى جميع الفنانين، لا تتكامل ألا عندما تتبلور داخل ذهن الفنان ..

سؤال تقليدي جداً. من يرد بذهنك من الفنانين؟

–سؤال تقليدي جداً. لا أحد! هل أنا بحاجة للكذب كلا. لا أريد أن أكذب ..

هل تكتب اليوميات الشخصية؟

–لا.

لماذا ؟

–مشاغلي لا تسمح لي بذلك. وليس لدي أي وقت لتدوين شيء. أنها عمل المتقاعدين !!

إذن مازلت تحلم بشيء ما ..؟

–نعم. أحلم أن أنجز مشاريع لأعمال منجزة كصور مصغرة (سكيجات) أنا لا أحلم ألا بأربع ساعات من الفراغ لعملي الفني يومياً ..!

لماذا ؟

–بسبب عملي الوظيفي فقط ..

كيف تعرف الأسلوب الفني ؟

–يتكون الأسلوب من مجموعة عناصر فنية. ويتكون الأسلوب بمرور الزمن، وضمن الممارسة اليومية. بدءاً بالموضوع والمضامين وانتهاء بطريقة التنفيذ. فمن الخط، واللون، الإنسان، التوزيع (التكوين) يتكون الفنان، وهذا ما يطلق عليه بالأسلوب الفني ..

هل أنت راض عن أسلوبك ؟

–جداً وأنا راض عن نفسي وأضاف

–في الحقيقة كنت أشعر بهذا الرضا عندما كان ثمة من يقيم أعمالي. أنهم يقولون لي: أنك إسماعيل الشيخلي.

كيف تقيم واقع الحركة التشكيلية الآن؟

–كنت متفائلاً دائماً. كان جيل الخمسينات قد وضع الأسس الجيدة بعد ذلك جاء جيل جديد. وتفاؤلي ما زال مستمراً .. ولكن الآن أشعر بشيء آخر .. وليس لدي إضافة ..!!

إذن كيف تنظر إلى تجربة جيل ما بعد الثورة؟

–ما قلته لك الآن.

الحب لديك هو الفن أليس كذلك؟

–ينبغي أن يتحدد السؤال ..

لماذا أحببت الفن ؟

–هو ذا السؤال الذي لا أعرف الإجابة عليه. عليكم أنتم النقاد أن تجيبوا عليه وأضاف بسرعة:

–لا يوجد أحب من الحياة .. والفن جزء من ذلك.

ولكن كيف تعرف الحب خالصاً ؟

–أي حب، المرأة الفن الوطن البشرية؟

الحب عامة. سيما وأنك قد كرست معظم أعمالك للاحتفالات البشرية؟

–سؤال غريب أنا ولدت للسعادة. أصنع الجميل: أنا أحب الأرض الأشجار السماء ..

وأضاف بعد قليل من الصمت:

–أنا أحب رسم المرأة الشعبية. أنها تدهشني ولهذا تكررت في أعمالي. لأن لها نكهة خاصة ربما. ولكنها ذات امتياز فريد. أحياناً أسأل نفسي وأنا في باريس: ماذا أرسم هنا؟ لكنني لا أعرف ماذا أرسم. ألا أنني حالما أرسم أعود إلى المرآة العراقية.

أعمالك تتميز بالغزارة اللونية .. أي تفسير لهذا الأمر ؟

–أنه يرتبط بالبيئة .. أنه ضوء الشرق: الألوان الغزيرة وقد يبدو اللون الترابي هو السائد، ولكن الألوان الحادة هي الشائعة ..

عندما تحدثنا عن الأسلوب، قلت أنه هو الشخصية ولكن ألا ترى بأن هناك تكراراً في أعمالك؟

–هو ذا السؤال الحساس.

وأردف حالاً ..

–الفارق بين التكرار اللوحة الواحدة والأسلوب فارق كبير. الأسلوب هو شخصية الفنان. والتكرار لا يعني التكرار هنا أتساءل ما هو التكرار وما هو الأسلوب: الأسلوب هو الشخصية. أما التكرار فهو خارج هذا الإطار الأسلوب يأتي عبر الزمن من خلال الأصالة. ولكن تكرار الموضوع أمر خارج مفهوم الأسلوب ..

النقد التشكيلي لدينا كيف تقيمه؟

–سؤال تقليدي الفنانون، عامة، يعتقدون بأن الحركة النقدية لا توازي الحركة الفنية. لذلك انتبهنا للأمر في السنوات الأخيرة، وباقتراح من دائرة الفنون التشكيلية حصل توجه للاهتمام بالنقد وإصدار كتب نقدية مترجمة أو مؤلفة عن فناننا ..

إزاء تجاربك الفنية، كيف تعامل النقد؟

–قبل عشر سنوات لم أنصف من قبل النقاد. الآن، الأمر أختلف وقلت قبل قليل: الآن بدأ النقاد يتحدثون عن شخصيتي الفنية وأنا سعيد بهذا الموقف ..

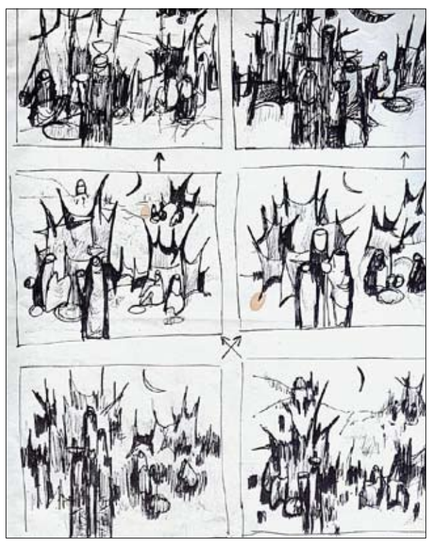

مجلة فنون 1984

هكذا عرفت اسماعيل الشيخلي

خالص عزمي
كاتب راحل

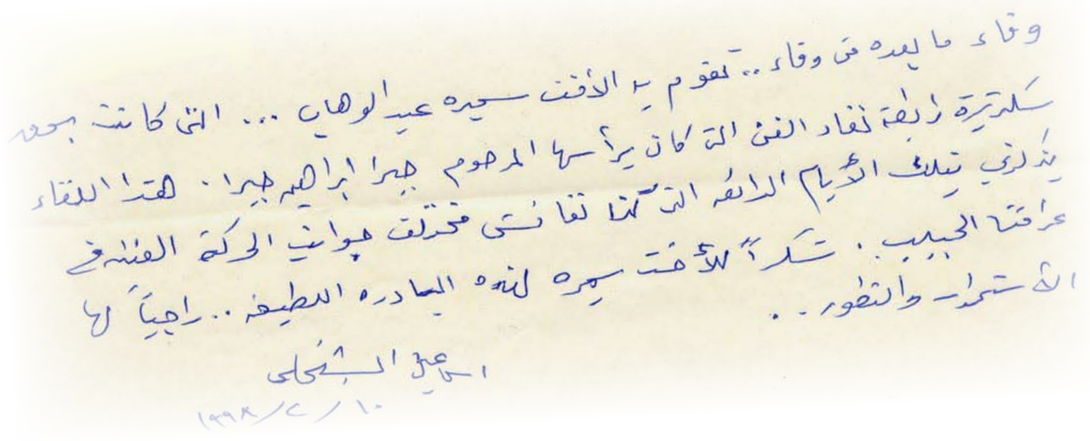

شعره المجعد ذو كثافة غزيرة تنحدر على رقبته ؛ وجبهته العريضة تتناسق مع تقاطيع وجهه الطوال ؛ له عينان ودودتان وأنف روماني يشرف على شارب رقيق يتعارض مع شفتين غليظتين عامرتين بألابتسامة ؛ اما طوله الفارع فمضرب المثل بين اقرانه .بغدادي اصيل في طباعه وسلوكه ؛ وشخصية اجتماعية عاشت في صميم الحياة الشعبية ؛ وشاركت في كثير من مطامح الشعب وأماله الى جانب المشاركة الوجدانية في افراحه واتراحه ؛ لكل هذا وذاك فقد عرف بارتباطاته الواسعة مع مختلف الطبقات العامة .

في بداية الخمسينات من القرن الماضي ؛ وكنت اصدر يومها مجلة (الاسبوع)الأدبية الفنية ؛ وادرس في كلية الحقوق في ذات الوقت؛ كنت اتردد على معهد الفنون الجميلة ؛ وكان هذا المعهد لا يبعد سوى كيلو متر واحد عن الكلية ؛ لاستمع الى المحاضرات التي كان يلقيها العميد الفنان حقي الشبلي على طلبة قسم المسرح في اسلوب التمثيل والاخراج وتاريخ المسرح العالمي ؛ وكذلك حضور بعض ا لتطبيقات العملية في الفنون التشكيلية التي كان يقودها كبار الاساتذة كفائق حسن وجواد سليم وعطا صبري ومجموعة من مساعديهم وكان اسم اسماعيل الشيخلي يتردد كثيرا بين الاساتذة والطلاب لما قدمه من خدمات لهذا المعهد.

كان اسماعيل الشيخلي قد غادر بغداد ضمن البعثة العراقية ملتحقا باشهر المعاهد الفنية في العالم الا وهو (البوزآر) في باريس؛ وبعد مضي سنوات الدراسة بنجاح وتفوق عاد الى بغداد ليعاود نشاطه في ذات المعهد الذي تعلم فيه ودرّس؛ و ليأخذ موقعه بين الاساتذة اللامعين الذين تخرج على ايديهم صفوة التشكيليين الشباب الواعدين أنذاك كاسماعيل فتاح الترك وخالد الرحال ومحمد الحسني وخالد القشطيني وماهود احمد ونوري الراوي ومحمد غني وغيرهم عشرات سواء الذين درسوا في قاعات المعهد ؛ او في صالات و مراسم الكليات الاخرى التي كان يشرف عليها بعض الاساتذة كالطب والحقوق والآداب والهندسة ودار المعلمين العالية ...الخ

وتؤرخ كتب الفن التشكيلي وبعض المطويات الفنية ؛ للفنان اسماعيل الشيخلي بالمعلومات الاساسية الآتية : انه تخرج في معهدالفنون الجميلة ـ فرع الرسم ـ عام ١٩٤٥ (الدورة الاولى) واختير من بين صفوة الخريجين ليتولى تدريس مادة (تطبيقات فن الرسم) لفترة قصيرة ثم ليلتحق بعدها مبعوثا للدراسة في (البوزآر) كما اسلفنا . والمهم في امرهذه البعثة انها لم تحجزه في نطاق امامه ليتلقى ثقافة موسعة حرة ؛ كأن يحضر الندوا ت و المناظرات والحلقات الدراسية العامة ومعارض الرسم المنتشرة في القاعات او المواقع المتميزة الشهيرة مثل (السكلكير) و (الحي اللاتيني) و(سانت ميشيل) و(الاوديون) و الحدائق العامة والمقاهي والتي كانت جميعها ترفد الفنانين بثقافة متشعبة ملونة متجددة لا تنضب .

لقد بقي الشيخلي بعد تخرجه في معهد الفنون الجميلة مدة تزيد على ستة عشر عاما مدرسا ثم رئيسا لقسم تطبيقات اعداد المعلمين ومنه نسب بعدئذ الى اكاديمية الفنون الجميلة كاستاذ ثم رئيس قسم الفنون التشكيلية واعيرت خدماته الى وزارة الثقافة والاعلام ليتولى منصب المدير العام للفنون ورئيسا للجنة الوطنية للفنون الجميلة وفي منصبه ذاك قدم انجازات مشهودة على الصعيدين الاداري والفني مما حدا بمنظمة (اليونسكو) ان تختاره رئيسا للرابطة الدولية للفنون التشكيلية ؛ ومن خلال هذا الموقع الفني الهام توسعت علاقاته مع التجمعات الفنية وكبار التشكيليين العالميين واصبح احد المؤثرين في منهجية وعطاء ونتاج الحركة التشكيلية بعامة . وازاء ذلك الجهد الواضح والعمل الفني المتميز ؛ فقد قررت الحكومة الفرنسية منحه وسام (فارس) في الفنون والاداب تقديرا لمكانته واسهاماته البارزة في الفنون التشكيلية .

كانت علاقتي بالشيخلي طويلة وممتدة لاكثر من نصف قرن من الزمن ؛ تواصلت وتأصلت منذ اول تعارف لنا في مقهى (سويس) و حتى السنة الاخيرة من حياته ؛ لقد عرفت فيه حركة دائبة موآزرة لمختلف التجمعات التشكيليةالعراقية (كاصدقاء الفن ؛ والرواد ؛ والانطباعيين ؛ وبغداد للفن الحديث.... الخ) او لمعارض زملائه من الرساميين او تلامذته الكثر ؛ هذا بالاضافة الى حضوره المكثف لمختلف النشاطات الثقافية الاخرى التي توزعت على مساحة واسعة شملت بعض المدارس والفرق المسرحية والنوادي الاجتماعية والخيرية . لقد شاركت اسماعيل الشيخلي وفنانين آخرين كحافظ الدروبي ومحمد غني ونزار سليم في بعض المؤتمرات والمهرجانات واللجان الخاصة بالفنون التشكيلية ؛ ومنها على سبيل المثال ؛ المؤتمر الاول لاتحاد التشكيليين العرب ومهرجان (بينالة بغداد ١٩٧٣) الذي اعتبره مؤرخو ونقاد الفن انجازا مهما للحركة التشكيلية العربية ؛ فقد ضمتنا الهيئة العليا في عمل واسع مشترك توزع على الاجتماعات والمعارض والمحاضرات .ولقد منحني هذا المهرجان فرصة تأليف كتاب ضخم (بمشاركة الفنان الاديب الراحل نزار سليم) احتوى على تفاصيل شاملة لمحاضر الجلسات والمحاضرات والمناقشات والقرارات ،وكذلك قيامي بتسجيل صوتي نادر لجميع الفنانين والنقاد والباحثين الذين شاركوا بفعالياته ؛ ولمناسبة مرور عشر سنوات على ذلك الحدث الهام ؛ فقداهديت النسخة الاصلية الى الفنان الشيخلي بصفته المدير العام لدائرة الفنون وذلك بتاريخ ١٩٨٣/٤/٧ ؛ لكي يحتفظ بها ضمن أرشيف الفنون العراقية ؛وقد اجابني على تلك البادرة بكتاب رسمي(اشارت اليه مجلة الف باء العراقية في حينه) يشكرني فيه على تلك الالتفاتة والهدية القيمة ؛ ولقد استنسخت دائرة الفنون مجموعة منها واهدتها الى المراكز والتجمعات الفنية التي شاركت بذلك المؤتمر .

انتشر اسم الشيخلي ونتاجاته الفنية في اغلب الدول العربية وبعض الدول الاوربية ولعل العاصمة الاردنية عمان قد نالت قصب السبق في هذا المضمار ؛ اذ شارك الشيخلي فيها بسبعة معارض متتالية ؛ مما اتاح الفرصة امام عشاق الفن الاصيل ومتذوقيه ان يقتنوا كثيرا من اعماله اضافة الى نتاج كبار الفنانين العراقيين الأخرين لكي تحتل مكانتها اللائقة في بعض قاعات الرسم والفنادق الكبرى والبيوتات الاردنية . لقد اتاحت لي فرصة الاستماع الى محاضرة الفنان الرائد المرحوم شاكر حسن آل سعيدفي الجمعية الملكية الاردنية للفنون الجميلة في جبل (اللويبدة) ان اقوم بجولة في انحاء المتحف التابع لها ؛ ولشد ما بهرني ان اشاهد ذلك العدد المميز من لوحات الفنان الشيخلي وهي تتصدر احدى قاعات المتحف ورواقه .. بل واكثر من ذلك ؛ ففي اثناء تلبيتي لدعوة كريمة من السيد معن التل (شقيق رائدة الفن التشكيلي الاردني الراحلة دعد

التل) بزيارة بيته العامر في عمان ؛ فوجئت بلوحة كبيرة للشيخلي وهي تحتل واجهة غرفة الضيافة بشكل ملت للنظر . ولعل باريس ، ومونت كارلو والدار البيضاء وبيروت وبعض دول الخليج هي المحطات الاكثر احتواءا لكثير من لوحاته الشهيرة بعد بغداد

حل صيف ٢٠٠١ ؛ وغادر الشيخلي الى باريس تصحبه السيدة الفاضلة عقيلته كعادته في كل عام ؛ الا ان هذه السنة تختلف عن سابقاتها ؛ فقد جاءها للعلاج من مرض عضيه الم به ؛ فتركه هزيلا ومرهقا ؛ ولكنه لم يستطع ان يفت في ارادته واصراره على التواصل مع ريشته والوانه.

لقد اعلمني القاضي الكبير الصديق مصطفى الواعظ احد المقربين من الشيخلي ؛ (انه ما كاد يعود من رحلته العلاجية الى بغداد حتى شرع بالتحضير لمعرض فني جديد مشترك مع الفنان (عبد الكريم سيفو) ؛ احد الشباب المبدعين والدارسين في بغداد وباريس ؛ مراهنا على نجاحه الفريد الذي يمثل اعمال عهدين مختلفين ؛ وقد اطلق على ذلك المعرض عنوان (بين جيلين) ؛ ويضيف الواعظ الى ذلك قوله : لقد كان كان هذا المعرض يتطلب جهدا وتنسيقا وفرزا مجددا للوحات الشيخلي التي تمثل اهم اعماله في الاربعينات والخمسينات من القرن الماضي ؛ وهذا بحد ذاته يمثل جهدا استثنائيا له ؛ حيث تم الاعداد ونظمت القاعة واعد البرنامج والمطوية الفنية التي ارخ لها يوم ٢٠٠٢/١/٢٤ كدعوة لاستقبال الحضور في قاعة (حوار).. لقد اطمأن الشيخلي على كل شيء ؛وداعب زملاءه كعادته ثم غادر القاعة على امل اللقاء ي ذات المساء ؛ ... في عصر ذلك اليوم وقبل سويعات من الموعد المحدد للافتتاح ؛ وصل الخبر المشئوم الذي ينبيء المحتشدين في قاعة حوار برحيل الفنان الشيخلي. لقد كانت الصدمة مذهلة والغياب المأساوي مفاجئا ومخلفا ورآءه الالم والحسرة ولوحات معرضه...يتيمة باكية .

لقد ترك اسماعيل الشيخلي وراءه ثروة فنية ضخمة تعبر عنها بصدق تلك المقدمة التي حملت توقيعه يوم رحيله الحزين ؛ وهي تلخص لثقته وايمانه بتواصل الاجيال حيث يقول فيها :... (يسرنا ان ان قدم على قاعة حوار معرضا مشتركا يتضمن بعض لوحاتي القديمة ونماذج من اعمال عبد الكريم سيفو (٢٠٠٠ ـ٢٠٠٢). ان اعمالي المرسومة في فترة (١٩٤٥ـ١٩٥٤) ؛ اي بعدفترة الدراسة والتكوين في معهد الفنون الجميلة سنة ١٩٤٥ والبوزآر في باريس ١٩٥٢ ؛ وهي عبارة عن تطبيقات ودراسات وتجارب لمختلف المواضيع والمواد لها قيمتها التاريخية ؛ اذ تعبر عما كان يدور في الوسط الفني في بغداد في فترة الخمسينات من القرن الماضي . اما اعمال عبد الكريم سيفو ؛ فهي تمثل تجاربه الاخيرة بين عامي (٢٠٠٠ـ٢٠٠٢) تقدم هذه المعروضات ليطلع عليه طلاب الفنون ومؤرخوها ونقادها ؛ أملين تسليط بعض الضوء على تطور الحركة التشكيلية في عراقنا الحبيب خلال هذه الفترة .

لو درسنا اهم الاعمال الفنية التي انجزت خلالها ؛ نرى ان الكثير من المفاهيم والتقاليد الفنية قد تأكدت اصالتها واتضحت معالمها . ان الغرض من اقامة هذا المعرض المشترك هو اطلاع الجيل الجديد من الفنانين وطلاب الفنون بصورة عامة على عمق التطور الذي طرأ على الحركة التشكيلية خلال نصف قرن من الزمن من عمر الحركة الفنية ؛ اي بين جيلين من الفنانين ..... ومن الجدير بالذكر بهذه المناسبة ذكر دور معهد الفنون الجميلة وكلية الفنون ؛ في استمرار هذا العطاء وديمومته ... ٢٤ / ١/ ٢٠٠٢ اسماعيل الشيخلي ...)

لقد ظلت حضارات العراق السومرية والاكدية والبابلية والاشورية ثم حضارات العصور الاسلامية وما تركته من اثر عميق في فنون الرسم والنحت والفخار والجداريات والمنمنمات وابداعيات الخط العربي؛ هي البعد الفكري والثقافي الشامل الذي رفد منه الفنان العراقي اصول ابداعه وتجذره .ومن فيض هذا النهر الثقافي المتدفق نهلت التجمعات الفنية التشكيلية ومنها جماعة الرواد التي كان من اعضائها البارزين اسماعيل الشيخلي ابداعها ؛ لقد جابت هذه الجماعة العراق وهي تلتقي بجذور الحضارة و جمال الطبيعة وانماط حياة الناس في المدن والشواهق والقرى والارياف من الشمال حتى الجنوب ؛ وكان من حصيلة تلك الجولات المنهجية الثرة ؛ خزين لا ينضب من المعرفة الميدانية.

لقد استلهم الشيخلي كل ذلك وهو يغرف من معين مؤصل ليعبر بصدق عن احاسيسه ومكنوناته ؛ فظهرت اعماله في توهجات خياله ثم في اختيار موضوعاته التي دللت على استقلاليتها وتميزها ؛ و كذلك في بحثه الدؤب عن الجدة والابداع وتجاوز ز حدود المواقع المرئية ؛ الى سر حركة الانسان المشحون بالعمل في المزارع او المصانع او التعليم او من خلال حوارات البيع والشراء او التجوال في الاسواق .. الخ ولم ينس الشيخلي ساعات الهناءة والمسرة في المقاهي

او في الازقة الشعبية حيث الغزل الحيي العف الذي عبر عنه باشارة عابرة او بالايحاء او الهمس اوالنظرة الخجولة او بالانطباع المباشر ايضا.

ان لوحات الشيخلي بصيغتها المتفردة تمنح مشاهدها فرجة متاشبكة ما بين بريق الالوان والخطوط الشاهقة في استقامتها وعلوها ؛ سواء تجسد ذلك بالمرئيات العامة او الشخوص الرائحة الآتية او تلك التي تستلهم الجلوس او الاسترخاء والتي لا تبتعد ابدا في خطوط التجسيد عن انعكاسات الضوء ؛ او من خلال حركةالتنقل في حالتي ؛ القرب من مساحة اللوحة او الابتعاد في فضائاتها المختارة ؛لقد اعتنى الشيخلي كثيرا في توزيع الوانه على مظاهر الملابس ـ الشعبية بخاصة .

فيما يتعلق بالرجال والنساء على حد سواء وهو بكل نتاجاته اعطى لشخصيته المبدعة استقلالية تتحكم بصدق في اختيار المواضيع وتجسيد المرئيات والانطباعات وتحقيق تواجد النماذج المنتقاة بعناية لتكون قريبة مما يلتقيه الانسان في مجمل حياته اليومية ؛ لهذا فقد اصبح بمقدور المشاهد الواعي من عشاق الفن التشكيلي وهو يتجول في معرض يزدحم باعمال عدد كبير من الرساميين ان يشير بثقةالى احدى اللوحات ليقول : ان تلك اللوحة هي من مفاخر ذلك الفنان العراقي المبدع اسماعيل الشيخلي.

مقال سبق ان نشر في موقع الحوار المتمدن

اسماعيل الشيخلي مع فرج عبو

اسماعيل الشيخلي يلقي الفرشاة أمام المرض والشيخوخة

نصير النهر

مع نوري الراوي وفرج عبو

انسحب اخيرا الفنان التشكيلي اسماعيل الشيخلي بسبب المرض والشيخوخة. والشيخلي من اهم رواد الحركة التشكيلية في العراق، وكان واحدا ممن اسسوا الجماعة الفنية الشهيرة في العراق «جماعة الرواد»، وهو ما يزال طالبا في معهد الفنون الجميلة.

وهو في هذا الحوار يستذكر بداية تأسيس هذه الحركة وانجازاتها وجوانب من تجربته الفنية.

× نعرف انك بدأت الرسم مبكرا جدا. كيف كان ذلك؟

.نعم، بدأت هواية الرسم عندي منذ ان كنت طفلا في السابعة من عمري، وكنت اعيش مع والدي في منطقة جبلية تقع على الحدود العراقية. الايرانية وتسمى هذه المنطقة بـ(النفط خانه) قرب مدينة خانقين، وكان والدي يعمل نجارا في شركة نفط خانقين، وكنت اقضي وقتي وحيدا مقلدا والدي في صناعة اعمال يدوية صغيرة من الخشب والطين، اضافة الى الرسم. وعندما دخلت المدرسة الابتدائية في خانقين كنت بارزا بين التلاميذ في الرسم ثم اختارني (عبد الغني الجرجفجي) الذي له فضل كبير عليّ، اذ اختارني من بين جميع طلاب متوسطة الرصافة للتسجيل في معهد الفنون الجميلة عند تأسيسه في عام ١٩٤٠. ومنذ ذلك التاريخ اصبح فن الرسم عملي المفضل في الحياة، وهكذا اكملت دراستي الثانوية في عام ١٩٤٤، وفي نفس العام تخرجت بدرجة امتياز من فرع الرسم في معهد الفنون الجميلة ببغداد، وكنت من اوائل الخريجين.

× لكنك اخترت كلية الحقوق؟

.نعم، استهوتني كلية الحقوق، وراقني ان اكون محاميا، وقبلت فيها فعلا، لكن الاعدادية المركزية التي تخرجت فيها كانت بحاجة الى مدرس رسم بعد ان سافر جواد سليم وحافظ الدروبي في بعثة الى الخارج، فأصر مدير الاعدادية على انتدابي مدرسا لمادة الرسم وحينها تركت كلية الحقوق وحلم المحاماة، ولم اندم، فالرسم يحتل مساحة اثيرة في نفسي، ويستحق مني هذا التفرغ الطويل والمضني، على الرغم من المناصب الادارية التي تبوأتها خلال حياتي.

* من خانقين الى البوزارت

× وتأثيرات الرحلة الباريسية عليك؟

.قبل سفري الى باريس، كان بمستطاعي الرسمي بشتى الاساليب، لكن اسلوبا واحدا كان هو الاكثر تعبيرا عن ذاتيتي، وهو الاسلوب التوفيقي الذي يكفل لي تحقيق هدفي في تنمية الذوق الفني لدى الجمهور، وممارسة الفن الحديث بنفس الوقت،، اما بعد عودتي من باريس في عام ١٩٥٠، فقد كان الرواد قد بلغوا الذروة في حماسهم للتجريد، لاحتكاكهم بالحركات الفنية في الخارج، وقد حذوت حذوهم.

وبالطبع هناك مدارس عديدة في الفن الحديث، وقد انعكس آثار معظم هذه المدارس على الفن في العراق، وأنا واحد من الفنانين العراقيين المتأثرين بهذه المدارس، وخاصة في الفترة التي اعقبت دراستي العالية في باريس.. اما بعدها، ومنذ سنين فقد تحررت في اعمالي من التأثيرات الفنية الخارجية، وخاصة ما يتعلق بالاسلوب الغربي، وانتقلت الى محاكاة العمل المحلي باسلوبه ومضمونه.

* جماعة الرواد

× وما هي قصة جماعة الرواد؟ وكيف انتميت اليهم؟

.بدأت بالالتقاء مع الجماعة في بيت فائق حسن، وكنا نذهب كل يوم جمعة للرسم في مناطق الجارية فنستقل باصا من الخشب (سيارة كبيرة للأجرة) ونجلس تحت شجرة اعتدنا الجلوس في ظلها، ونضع عليها اسماعنا، وكان فائق حسن هو المحور. اعتدنا ايضا ان نستمع الى الموسيقى (بواسطة اسطوانات نضعها في جرامافون نحمله معنا)، كنا اصدقاء اكثر من فنانين محترفين، وفي تلك الفترة كانت جمعية اصدقاء الفن التي اسسها الفنان الراحل جود سليم قد انحلت تقريبا، ونشأت جماعتنا مكانها.

× ما هو الاساس الذي قامت عليه جماعتكم؟

. كنا قد جئنا بتأثيراتنا الأوروبية الكاملة، وخرجنا الى الطبيعة لأن ظروفنا في بيوتنا لم تكن تسمح بالرسم.. لم نكن نبحث عن الضوء الذي كان يفعل الانطباعيون الأوروبيون، او التأكيد على الطبيعة كما كان يطالب روسو بذلك، بل لمحاولة دراسة امكانياتنا وتطوير رهافة العين بواسطة النقل الفوتوغرافي. وكانت الفكرة التي جمعت الرواد في سنة ١٩٥٠ قد تحولت الى البحث عن فن عراقي اصيل، مصدره ذات الفنان، وهكذا ظلت جماعتنا تسعى في مجالها الحيوي للبحث عن التعبير الحر المتدفق لطبيعة الارض والناس الذي يحيون عليها.

× ألم يكن لبدائية فائق حسن تأثير عليكم؟

. بالتأكيد، لكن الجماعة، ومع مرور السنين، ونضوج التجارب، لم تعد كالسابق تعنى بالاسلوب الانطباعي، بل اصبحت تعنى بكل الاساليب التي انبثقت من مبدأ تحوير الشكل الخارجي للطبيعة المرسومة، كمدرسة الانبياء والوحشية والتعبيرية، ولح ما التكعيبية والتجريدية، وقد استمرت هذه المرحلة حتى انسحاب فائق حسن عن الجماعة في بداية الستينات وانضواء الجماعة تحت زعامتي، وهنا بدأت مرحلة جديدة تماما. وحاولت ان اصل بالجماعة الى الاستقلال بالرؤية الحديثة بصورة فردية ضمن الاطار العام، مهما كانت رؤاهم متنوعة ومتنافرة.

* اندماج اجتماعي

× من المعروف عنك تحولك في تلك الفترة الى رسم حياة الناس في المدينة بعد ان كنت مهتما بتصوير الضواحي بشكل اقرب الى الانطباعية. كيف حصل هذا التحول؟

.حاولت رسم حياة الانسان العراقي في بغداد قبل سواها، متمردا على الرؤية البدائية لجماعتي، واستمر ذلك منذ بداية الخمسينات، وحتى نهاية الستينات، وما زال هذا الاتجاه يلازمني حتى الآن.

× لقد حاولت تطويع التكعيبية لأهدافي الاجتماعية، واستوحيت التراث في الموضوع الشعبي، والايقاعية التكرارية في نفس الوقت، معبرا عن احساسي بالتراث والقيم الجمالية بشكل واقعي وحضاري معا.

لقد حاول العراق مقبلا على تقدم كبير في حياته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكان لا بد ان يترك هذا التقدم طابعه التأثيري في انتاج الفنانين.. ولا بد من جهة اخرى ان يستلهم الفنانون العراقيون هذه الحياة الجديدة. وذلك لا يتم بغير التقرب من هذا الجمهور.. من مشاغله واحاسيسه عن طريق التعبير عن موضوعات عامة وخاصة تتصل بحياته اليومية اتصالا مباشرا، بحيث تقربه من الجمهور، ومن واقعه، على ان لا يجعل هذا الانتاج اكثر من الغاية التي توخاها، وهي انماء الذوق الفني والحساسية والشعور الفني لديه.

× كيف يمكن معالجة مشكلة اجتماعية بواسطة الرسم، وأي الالوان تناسب ذلك؟

. الرسم فن واسع ومتشعب، سواء بموضوعيه التي يعالجها، او بالاساليب التي يتبعها كل فنان في اخراج موضوعه. ولا توجد الوان معينة لكل موضوع، ولا يمكن تحديد ذلك. اما الرسامون الذين يعالجون مواضيع ذات طابع اجتماعي، فاعتقد ان كل موضوع خاص يحتاج الى الوان خاصة معينة لذلك الموضوع.. وبالطبع هذا يختلف باختلاف الفنان نفسه ايضا.. فعندما يختار الفنان موضوعا عاما، فانه بلا شك سيختار الالوان التي تنسجم مع ذلك الموضوع، ليحصل على نتيجة ناجحة، فالشكل والمضمون يجب ان يكونا منسجمين في كل عمل فني ناجح.. وان تخلف احدهما عن الآخر فسيكون ذلك العمل فاشلا.

× بالمناسبة، أي الالوان احب اليك في الرسم؟

.لا توجد لدي الوان خاصة معينة افضلها على غيرها.. لكن الواني التي استعملها هي جزء لا يتجزأ من مواضيعي التي اعالجها.. وبما ان مواضيعي في السنين الاخيرة اخذت تتحدد وتتميز بمواضيع محلية عراقية.. فانني اعتقد بأن الالوان اصبحت تقترب من الوان بيئتنا، وعلى العموم هي الالوان الفولكلورية.. والترابية.

* آخر الكلام

× ما اكثر المعارض التي اقمتها قربا الى نفسك؟

.اعتز كثيرا بذكرى أول مرة اشتركت فيها في معرض لجماعة بغداد للفن الحديث مع الفنان الراحل جواد سليم والزملاء الآخرين.. كان المعرض الثالث لهم، وقد اقمناه في قاعة معهد الفنون الجميلة وكنا متحمسين له جدا، لان الحركة كانت في بدايتها، وبذلنا مجهودا كبيرا في تنظيم المعهد والاعلانات والبطاقات، ونجح المعرض نجاحا كبيرا، لأنه اشار الى ان فكرة جماعة بغداد لم تكن قط فكرة فردية، وانها ظهرت على اساس مبدأ الاحتراف الفني وليس مبدأ الهواية، كما كان الامر سائدا في جمعية اصدقاء الفن (١٩٤١. ١٩٥٦) او جماعة البدائيين.

× وما رأيك بالحركة الفنية الحالية في العراق؟

. راكدة جدا، وليس فيها جديد، رغم اختلاف الظروف وتنوعها... لكني مع ذلك لا القي باللوم على الفنانين، فهم يحاولون ان يضعوا افكارهم على بياض اللوحات دون جدوى، وان ارادوا التعبير عنها بشكل يرضيهم فلا بد ان يحلقوا بها بعيدا عن الارض غير الصالحة حاليا لصرعات فنية وافكار عميقة.

× كيف؟

.الجواب على هذا السؤال يحتاج الى الكثير من الدراسة والتحليل، لأنه متشعب وذو جوانب متعددة ومعالجته معقدة، لكنني سأحصره في نقطتين: أولاهما تعود للفنان نفسه، ولظروفه الخاصة والصعبة غالبا... والثانية تعود للدولة وعدم دعمها للحركات الفنية بشكل يحقق لها النجاح والازدهار. الفنان العراقي يعمل في ظروف صعبة ماديا ومعنويا. واكثر الفنانين تعوزهم المقومات الضرورية للعمل، كالمراسم، والموديلات، والمواد الضرورية الاخرى، الامر الذي دفع الكثير منهم الى (الفن التجاري)، على الدولة انت تهيئ الاجواء اللازمة لانعاش الحركة الفنية كالمتاحف وتشجيع المعارض على نطاق واسع محليا ودوليا. لقد آن الاوان لأن يخرج الفنان العراقي من عزلته الفنية المحلية الى المجالات الخارجية، ولا يمكن ذلك الا بمساعدة وزارة الثقافة وتهيئة كل ما يلزم لذلك، والحركة الفنية عندنا تحتاج الى المزيد من الاعتناء بالتعاون مع الفنانين انفسهم.

× ألا تفكر بتقديم شيء حاليا؟

.يكفيني انني سأظل في ذاكرة الاجيال.

جريدة البيان الاماراتية

اسماعيل الشيخلي .. الانسان والفنان

شاكر احمد العبيدي

ما ان وضعت فرشتي لارسم لوحة حتى يعود شريط ذاكرتي الى اول لوحة رسمتها والى اول نصيحة سمعتها وابقى مع ذاكرتي لفترة طويلة من الزمن حتى تستحضرني الالوان والاشكال وابدأ بالرسم دون ملل او تعب، عندما انتهي من رسم اللوحة اجلس امامها اتأملها ابحث عن ثغرة او نقطة ضعف من اجل اصلاحها، لكن الشيء الذي يصادفني في كل لوحة ارسمها هو ذاته لا يكاد ان يفارق مخيلتي، مهما كان شكل او مضمون اللوحة، اجد نفسي بشكل لا ارادي واضعاً في لوحتي تقاطيع من شكل الاستاذ والمعلم اسماعيل الشيخلي الذي كان مدرسة ضخمة ليس على مستوى الفن والرسم فحسب انما يتعدى ذلك ليتحول الى مدرسة انسانية واخلاقية يصعب تكرارها مهما فعلت المدرسة الفنية العراقية.

لم يكن انساناً عادياً او معلماً يكتفي بتوجيه النصائح والتعليمات انما تعدى ذلك بكثير لانه كان باحثاً اصيلاً عن المواهب التي تستحق مكانتها بعيداً عن عالم المحسوبية والمنسوبية والواسطة هذا العالم الذي لا ينفك يهشم في الجسد العراقي لكن اسماعيل كان من عالم اخر لايدرك غايته العرفانية الا الذين تعاملوا مع اسماعيل فناناً وانساناً..

بدات الحكاية عندما كنت ادرس في متوسة "طوز" في قضاء طوز في محافظة كركوك عام ١٩٦٧، علاقة شديدة تربطني بالرسم اعشق الحديث عن الرسم قلمي الرصاص لم يفارق يدي يوماً، رسوماتي كانت محط اعجاب الاساتذة والطلبة، عشقي لمدينتي كان الهامي الفكري الذي يتجسد على شكل رسومات لم اترك شبرا من طوز حتى جسدته كلوحة فنية لا يدرك قيمتها الجمالية والفنية سواي، كلما رسمت لوحة اخذها استاذ الرسم وعلقها في لوحة الاعلانات لتكون نقطة جذب لكل من يمر من امام هذه اللوحة لم يكن استاذ صلاح مدرساً فقط انما كان موجهاً ومرشداً حقيقياً فتح امام سريرتي اشياء كانت خافية عني، فلم اكن اعلم ان هناك معاهد وكليات تهتم بالرسم وتدرسه و ان هناك علوماً متخصصة بالالوان والمساحات وانواع الورق والفرش المستخدمة والنحت والسيراميك و الخط و الكرافيك والتصميم، هذا المعلم هو الذي عرفني على هذا العالم الغريب، نصحني ان انمي موهبتي بالفن والرسم من خلال الالتحاق بمعهد الفنون الجميلة في بغداد بعد ما انهي المتوسطة، ترسخت هذه الفكرة في ذهني رغم ادراكي انها صعبة المنال على شخص يعيش في مدينة تفصلها مئات الكيلومترات عن بغداد اضافة الى فقر عائلتي التي لا تستطيع ان تتحمل تكاليف الدراسة والمعيشة في العاصمة.. لكني بقيت متأرجحاً بالامل فهو سبيلي الوحيد.

انهيت الدراسة في المتوسطة وحلم المعهد مازال يستوطن جهازي العصبي، كل يوم يمر وانا احلم ان اكون رساماً ذا شأن كبير لاسيما وان عائلتي لها ميول في الرسم والنحت، وعمي المرحوم محمود العبيدي احد تلك الاسماء ..تحدثت مع عائلتي بموضوع دراستي في بغداد، لم يعارضني احد بقدر معارضة الظروف المعيشية التي كانت تتجسد في مقاطع وجه امي وهي تخبرني انها تريد ان ترافي في المكان الذي اختاره انا.. اذهلتني العاصمة ما اروع بغداد القديمة وما اتعسها الان كل شيء فيها كان جميلاً العصافير الاشجار ساحة التحرير الكسرة الاعظمية الكاظمية، كل هذه المدن اصبحت فيما بعد تحتضن طيشي وشقاوتي، ولعي وعشقي، حزني وألمي، جوعي وحسرتي، كل مدينة بغدادية باتت مدينتي وكل اهلها هم اهلي، دخلت الى معهد الفنون الجميلة وكان مزدحماً بالطلبة المتقدمين الى المعهد، شعرت اني ارتكبت خطأ كبيراً حين اتيت الى هنا المكان قد لا يسعني لكن استدركت الموقف وقمت بتقديم جميع الاوراق المطلوبة، اخبروني ان احضر في تاريخ معين من جل الاختبار الذي يمثل الفاصل الحقيقي بين فشلي ونجاحي، عدت في نفس اليوم الى طوز وملامح بغداد مازالت عالقة في ذهني، سألني الجميع كيف كانت رحلتي الاهل الاصدقاء، شعرت بصوت امي وهي تحتضنني وكانها تريد ان تعرف هل انفقت الدينار كله ام ارجعت منه شيئاً، وضعنا المادي كان مؤلماً حقاً، ايام وانا انتظر متى يأتي موعد الاختبار الذي استعديت له جيداً حتى لا اضيع تعبي واضيع قيمة الدينار الذي انفقته، قبل تاريخ الاختبار بيوم جئت الى بغداد وحدي بعد ان وضعت امي في جيبي دينار اخر اقترضته ايضاً، وصلت الى المدينة، سرت في شوارعها بين طرقاتها الزاهية ذهبت الى منطقة الميدان واقمت في فندق شعبي قديم ليلة واحدة، ولد لم يتجاوز عمره ستة عشر عاماً يقطع هذه المسافة ويسكن في فندق قديم، طموحي،لم انم في تلك الليلة لاني كنت خائفا فضلاً عن تفكيري الشديد باختبار الغد.

توجهت في الصباح الى المعهد مشياً على الاقدام دون ان اتناول اية وجبة طعام كان حرصي على الدينار شديداً فلم اكن املك غيره، اخاف ان تنفذ النقود فماذا اصنع ،دخلنا نحن الطلبة المتنافسين الى قاعة الاختبار وطلبوا منا ان نرسم تمثالاً رومانياً نصفياً بدون رأس كان موجوداً في وسط القاعة، بدأنا نرسم، هذه المرة الاولى التي اكون فيها بمواجهة مع النفس والذات لان الحياة الفنية باحلامها وافكارها تتوقف على هذا الاختبار، الامر كان بغاية الصعوبة والتعقيد، ساعتان ستكون فاصلة.. انهيت الرسم كتبت اسمي على اللوحة و غادرت القاعة، الطلاب كانوا يتحاورون فيما بينهم حول الاختبار وعن قدراتهم في الرسم، لم احشر نفسي في هذا الحوار وفضلت العودة الى مدينتي، لم يبق من الدينار الا الشيء القليل، اشتريت "فوطة" او كما يسميها سكان الجنوب "شيلة" لامي العظيمة، لم اشأ ان اعانقها هذه المرة دون ان اقدم لها هدية ترسم الفرحة على وجهها المتعب، عشرة ايام تفصلني عن النتيجة وكل يوم يمر علي وكانه حمل ثقيل، لا انكر انني بقدر ما كنت اتأمل ان انجح في الاختبار كنت ارغب في الفشل لانه صعب على المرء ان يفارق الاهل والاصدقاء والمدينة.

حان وقت مغادرتي صوب بغداد للمرة الثالثة وهذه المرة تختلف عن سابقتها لان مصيري يتوقف على نتيجة الاختبار، زادت غلتي المالية هذه المرة، امي اعطتني دينارين لانها توقعت ان انجح واحتاج بعض المال لاستكمال امور الدراسة، كانت ترغب ان ترافي معلماً حتى اساعدهم على ظروفهم المعيشية الصعبة، وصلت العاصمة واتجهت بسرعة الى المعهد حيث كانت

اللوائح معلقة على جدار المعهد، وهنا كانت الصدمة، لم اجد اسمي مع الطلبة الناجحين او المقبولين، حتى اني قرأت القوائم مائة مرة عسى ان اجده، نار كبير اتقدت بين خافقي، احلامي ماتت عند هذه الجدران، الدنانير ذهبت دون رجعة امي لن تفرح لن توزع خبز العباس كما نذرت عندما انجح لن ارى وجه بغداد ثانية. عدت الى البيت خجلاً وخائباً عرفوا بالنتيجة قبل ان انطقها دموعي كانت كفيلة لفضح امري، عانقني الجميع واخبروني ان لا احزن فان المستقبل مازال امامي وعلي ان اكمل دراسة الاعدادية فهي مفتاح اخر لابواب المستقبل الفني، والتحقت في مرحلة الرابع الاعدادي، كان الطلبة فرحين جداً وانا كنت الحزين الوحيد بينهم، لكن سرعان ما انسجمت معهم وبدأت اعتاد على الاعدادية، قررت ان اترك الرسم والى الابد كان قرارا متعجلا نابعاً من غضبي لم اكن ناضجاً بشكل يؤهلني الى فهم ان الحياة تجارب ومحطات ولابد ان لا استسلم امام اول عقبة تواجهني، المهم اني لم ارسم اي شيء منذ دخلت الاعدادية، كنت اجلس في الصف كان الدرس الثالث طرقت المنظفة الباب وقالت المدير يريد من الطالب شاكر احمد ان يحضر لغرفة الادارة، ذهبت الى المديراستاذ كمال سألني هل تعرف شخصاً اسمه اسماعيل الشيخلي قلت كلا، مرسل الرسالة اسمه اسماعيل الشيخلي قرأت الرسالة وكانت من معهد الفنون الجميلة بعثها لي الاستاذ اسماعيل الشيخلي رئيس قسم الفنون التشكيلية في المعهد يخبرني فيها باني نجحت في الاختبار وان اسمي كتب خطأ "شهاب احمد" بدلاً من "شاكر احمد" وطلب مني ان احضر الى المعهد باسرع وقت لانه لا يريد ان يمنح مقعدي لشخص اخر، عادت القضية تتصدر واجهة تفكيري ماذا افعل كيف سأقنع اهلي بان يعطوني مالاً من اجل الذهاب الى بغداد هل علي ان اجبر امي ان تستلف الدنانير من الناس؟ كنت افكر ان ارفض الذهاب لكن احساسي بانسانية هذا المعلم الكبير الذي يعبر عن تلك الانسانية من خلال مراسلتي.. لماذ يكلف نفسه؟ شعرت باني علي ان اقابل هذا الشخص الذي يحترم عمله ويقدر المواهب، عدت الى البيت فرحاً حاملاً الرسالة قرأتها للجميع لم اتوقع ان يفرحوا وان يأيدوني سرعان ما تلاشت اغراضي، لكن هذه المرة كان اخي من وضع في جيبي المال امي لم تستطع ان تنظر الي وجهي في لحظة الفراق شعرت انها ستفارقني ولابد دون ان تدرك انها تعيش معي في الضمير والقلب والوجدان، ودعت اخوتي وامي ودموعنا كانت تتعانق وكبت السيارة رمقت مدينتي طوز بنظرة حزينة ودعتها وكأني اشعر بانه وداعنا الاخير، وصلت الى بغداد وتوجهت الى المعهد مرة اخرى سألت عن غرفة الاستاذ اسماعيل ،طرقت الباب دخلت، واذا بي اقف امام شخص ضخم الجثة ذي بشرة سمراء، شعرت بالخوف هل هو هذا استاذ اسماعيل؟!!

قلت له انا شاكر احمد من كركوك، اعتذر مني على الخطأ وطلب مني ان اكمل اوراقي والتحق في الدراسة ، وقدم لي بعض النصائح التي تخص الرسم وقال لي ان استثمر هذه الفرصة والحصول على شهادة مقترنة بمهنية عالية ستكون ناجحاً في حياتك، حديثه بعث في نفسي الطمأنينة وتبدد خوفي ،حمل اسماعيل الشيخلي من الخصائل البيضاء الكثير كان انساناً حقيقياً شعرت باخلاصه لعمله الفني والوظيفي لانه احترم نتيجة الاختبار ولم يعط مقعدي لاي شخص رغم وجود العديد من الاحتياط، هل في العراق الان احد يمتلك خصلة من خصائل اسماعيل، الواسطة والمحسوبية والرشوة اصبحت سيدة الموقف، المئات الان حصلوا على شهادات عليا عن طريق المحسوبية والعلاقات والواسطة، لكن هذا العالم لم يكن له رقم في اجندة اسماعيل الشيخلي وجيله العملاق الذي لا اتوقع ان يتكرر يوماً ما

اسماعيل الشيخلي:
وهج الالوان وحرارة الايقاع

زهير غانم

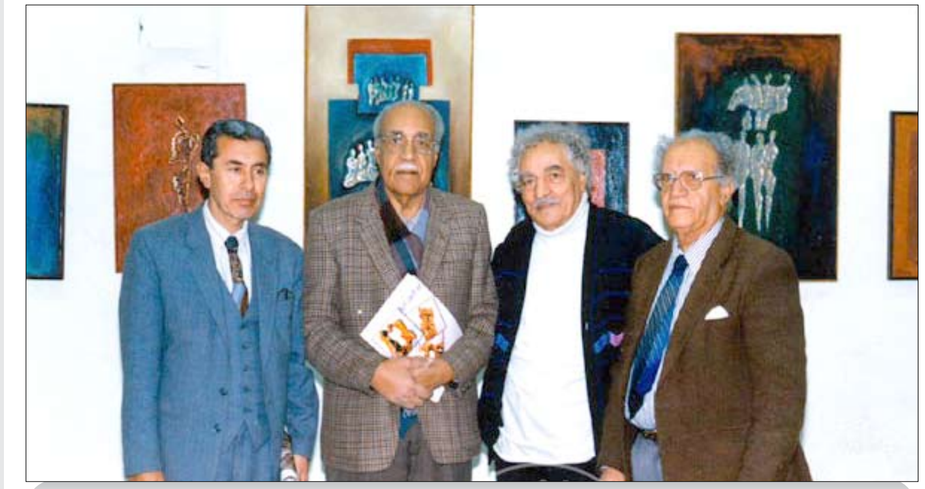

مع نوري الراوي ومجموعة من الفنانين

فنان رسم صورته مرات عديدة، وجه مستطيل طويل، نظرات زائغة، قلق وتوتر حادين، شكل شرقي. في الصورة البداية/ الظل والضوء يسبحان في يقظة المعالجة! البناء والتكوين يتشحان بالازرق والبنفسجي. في الصورة الثانية يتنفس حرية الاسلوب بشهيق وزفير عراقيين، يحفر عميقاً في باطن التجربة للوصول إلي مفردات أشكاله، مواضيع بسيطة تتناسب وعنفوان تجربته، تداخل مدهش بين الانسان الفنان، والفنان الحالم. الغربة هاجس مشرب بحزن صامت، تتفجر في اتون نرجسيته، حيث يتمادى ليصور نفسه داخل هالة قدسية!! تفاصيل أخري في الموديل أو الجزء المهم من مرحلته الدراسية.

ظل متمسكاً بالأشكال البسيطة والمساحات اللونية، يدور داخل قسوة الخطوط وصرامة التكوين وحدة التشريح وولعه بالبقع الجميلة!، الغربة (الهاجس) حفرت اثارها فيه حتي بعد عودته من باريس، وقد انعكس ذلك في مؤشراته الخاصة (التجربة الذاتية) ورغبته بمسايرة زملائه. كان بين مد وجزر، قلق وانفعال، تقهقر ونهوض، هذه الحالة الانفعالية أو صلته بعد ان ازداد خبرة وبصيرة إلي محطة المساحات اللونية الشاسعة، تضج بروح الشرق، ببساطة وعفوية، مع انشداد وثيق للعلاقة الانسانية، وحنو كبير لامتشاق سيف الحياة، وهويطيح برأس مارد الخوف. يؤدي التناقض دوره في لوحة (اسماعيل): الحياة والموت، الفرح والمأساة، الازرق والبني.. هكذا كان ابان الخمسينات، واضحاً فاعلا واقعياً شعبياً بسيطاً صريحاً، يسبح داخل فضاء اللوحة بأجنحة التجريب. والشيخلي واحد من الذين وقفوا ضد التيار السائد نزوعاً نحو النبع، وآل علي نفسه عدم الانجراف وراء موجة المصب التقليدي!.. لذا ولانه جزء من الحالة المغيرة، اتسمت اعماله الجديدة بتبسيط المساحات، والتوجه الهندسي: عوالم من المساحات الهندسية المتداخلة والممازجة والمنتظمة، برغم هذا فانه لم ينفك عن جلده الشعبي، وروح الفولكور الشعبي، وقلب الوحدات الزخرفية.. الضاجة بالتعبير، وهو يقف فوق خطين: الايغال في التجديد، التشبث بالاصالة... من حيث القياس والموازنة فان التحليل المنطقي يؤكد ان الفنان يسير فوق خطين متوازيين لا يلتقيان ابداً!..

ولكن من زاوية الرؤية الفنية، فان هذين الخطين هدفهما واحد، هدف يتلخص بالارتقاء بطريقة المعالجة وصولا إلي حالة الاصطفاء التعبيري الامثل، ولا عجب في ان يذهب (البعض) إلي ان الشيخلي تأثر باستاذه فائق حسن (المساحات المتضادة الألوان) او بلوت ودوبا (تحوير الطبيعة التوغل في فضاءات التجريد) علي الرغم من ان الفنانين الرواد (ككل) وقعوا تحت ضغوط التيارات الغربية حد الاستنساخ والتقليد المباشرين!.. لهذا فان الحركة التشكيلية العراقية لم يكن لديها اية ملامح خاصة، مع الاقرار المسبق بوجود استثناءات ومحاولا متميزة علي صعيد او التجاوز التطبيق..

اذاً يمكن ان نقول ان الشيخلي شأنه شأن العديد من الرواد كان يبحث عن طريقته الخاصة، أو عن صياغة موضوعية لتجربته الفنية، ملتحماً ببيئته كاندماج الجلد باللحم، من حيث استخدام العنصر المميز، والوحدة المميزة، والتأكيد علي المنحي الجمالي للأشكال والاجواء والعلاقات الانسانية..

يري البعض ان السنوات الاولى من الستينات تعد مرحلة (تخبط) و(ازمة) بسبب تكرار الشخصية، بينما البعض الأخر وجد ان رسوماته (ذات هدف واضح أساسه البناء).

هذا التباين الشاسع في الاداء (خاصة) علي صعيد اتهامه بالتكرار، يدفعنا للتأكيد علي مسألة تعميق النظر بجوانب تجربته التي انحصرت في تلك المرحلة علي علاقة الرجل بالمرأة، ثم بدأت عملية تهشيم ومن ثم تشويه وأخيراً الترميز لوجود الرجل، ان ابرازه النساء فقط، نساء تجريديات: كثيراً واشكالا بنائية تائهة في فضاء مصبوغ بلون الشفق، تأكيد لمعني المراة، والغاء الافق او التكوين الاعتيادي، تكريس لضرورة الحرية، لكن هذا التأكيد سرعان ما يصاب بالاهتزاز لان المرأة في كل الاحوال لا تجد بل لا تملك سوي الانتظار الازلي للرجل، فؤجئنا في اعماله ببروز جملة من الرموز، الا اننا فاجأنا بمغامرته الجديدة التي اختطت لنفسها اتجاهين: الأول/ يتخذ من الافق او نقطة الافق ركيزة في عملية بناء اللوحة المعماري.

الثاني/ الغاء الوحدة اللونية للفضاء الخارجي.

بالنسبة للاتجاه الأول الفنان في مرحلته الثانية يميل إلي حشد وجمع الكتل الادمية في جزء معين من اللوحة، وهكذا تكون المساحة الاكبر المتبقية مجرد فراغ.. وان توخينا الدقة تقول (فراغ لوني).

يعتمد الفنان صيغة (الانشاء التصويري) وبهذا الصدد يقول: "في عملي الفني لا اضع خططاً لونية ولا تخطيطية، العمل ينمو في مخيلتي وبين يدي.. ويتطور يوماً بعد اخر حتي يأخذ شكله النهائي".

والفنان يتخذ من الافق وبالذات النقطة الدالة- بكل دلالاتها الرمزية او الايحائية- ركيزة لاقامة علاقة روحية بين الناسة الذين يشكلون كتلة لونية وتكوينية قائمة بحد ذاتها، مرسومة بطريقة والوان مغتربة عن مضمون اللوحة العام، وهم في لحظة مواجهة (قصديه) للمشاهد، يديرون ظهورهم لنقطة العمق..

اذاً فالفنان يريد من اللوحة ان تكون شاهداً: "لقد تنقلت كثيراً وبعيداً عن كل القيود والالتزامات واخرجت كل ما اختزنته من تخطيطات وراجعتها.. ونظرت إليها ملياً واخترت منها ما شئت فكانت هذه اللوحات".

الفضاء مازال عنده يحمل غليان الشمس: "أجد فيها وهج الألوان... وحرارة الايقاع".

في الاتجاه الثاني تحس بالأشخاص مندمجين منصهرين مع تفاصيل اللوحة، الناس في حالة انهمار، ماء في حركته السريعة والدائبة يوحده شلال (المنظر والايقاع).. وبذلك طغي الجانب الجمالي علي أعماله في الاتجاهين معاً: "ان خلود أي عمل فني لا يتحقق ما لم يكن جمالياً.. فيه حالة توافق بين الشكل والمضمون..

وليس المضمون وحده الذي يعطي قيمة للعمل. الجمالية لابد منها فهي الانبهار".

لم يعد الفنان يرسم بطريقة الضربات السريعة التي تقتضيها مستلزمات التجريد، لذا جاءت ايقاعات اللون متوافقة مع تفاصيل الموضوع المتشعبة، هنا لابد ان نسجل ملاحظة/ ان الفنان في رسوماته الافقية ابتعد عن مضمونه التقليدي، منحازاً بذلك إلي قضية التجريب. "الاحساس بالتجربة بحكم عمله الفني، احياناً كثيرة عمل لوحات في اطار التجربة.. وهنا أؤكد بأن الرسم كله تجربة في الألوان وفي حس الانبهار والاستثارة".

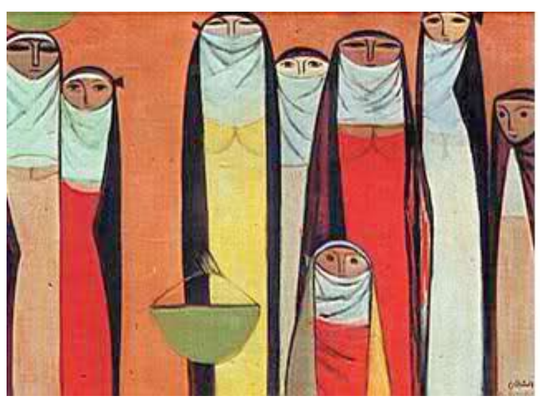

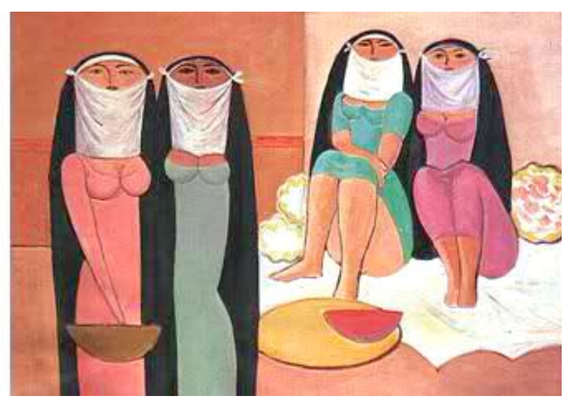

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير
عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
WWW. almadasupplements.com

من اعمال الفنان مؤيدنعمة
تمثال كاريكاتيري
لوجه الفنان اسماعيل الشيخلي

عراقيون
من زمن التوهج